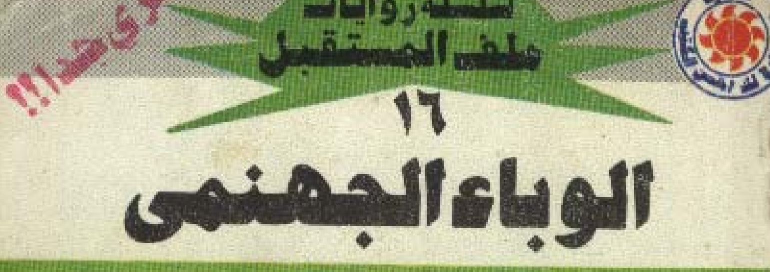

ملف المستقبل
١٦
الوباء الجهنمى



١ ــ ضحايا الصحراء ..

امتدت الصحراء شاسعة مترامية الأطراف برمالها الصفراء ، التى انعكست فوقها حرارة شمس يوليو الملتهبة ، فتصاعد من سطحها الهواء المتمدِّد ، مشوّشًا الرؤية أمام شاب كان يسير بخطوات ضعيفة متهالكة ، وينقل قدميه بصعوبة ، بسبب الإجهاد الشديد الذى أصابه وهو يحمل فوق كتفه جسد شابة ضئيلة الجسم ، تراخى رأسها على صدره من فرط الضعف والإجهاد والعطش .

رفع الشاب عينيه نحو السماء ، وكأنه يتضرع إليها أن تمنَّ عليه بالنجاة هو ورفيقته الفاقدة الوعى ، ولكن أشعة الشمس المحرقة جعلته يغمض عينيه ، ويمسح بكفِّه العرق الغزير المتصبِّب على وجهه ، ثم يعاود سيره معتمدًا على قوة إرادته ، ورغبته الشديدة فى إنقاذ



فوضع رفيقته تحتها ، بحيث تغطيها الظلال ،
ثم تهالك بجوارها ، وعاد يمسح عرقه الغزير ..

رفيقته ، وخوفه العارم من ذلك العدوّ المجهول الذى يطارده ..

كانت ملابسهما الرثّة تكشف عن مدى ما لقياه من تعب ، وقلق وعطش ، وكانت ملامح الشاب تعبر عن أقصى درجات الألم والإجهاد والخوف ، وخفق قلبه فجأة عندما لمح على بعد أمتار قليلة صخرة ضخمة ، تلقى بظلالها على الأرض ، فتحرّك نحوها مستجمعًا ما بقى من قوته حتى بلغها ، فوضع رفيقته تحتها ، بحيث تغطيها الظلال ، ثم تهالك بجوارها ، وعاد يمسح عرقه الغزير وهو يلهث من شدة التعب ، ومدّ كفه يمسح على جبين رفيقته ، التى فتحت عينيها بصعوبة ، وتمتمت من بين شفتيها المشققتين ، قائلة بلهجة تجمع بين الضعف والخوف :

ـ قليلاً من الماء يا (نور) .. إننى أموت ظمأ ..

لم يكن هذا الشاب سوى بطلنا الرائد (نور الدين) ، ولم تكن رفيقته سوى زوجته وعضوة

فريقه (سلوى) .. كان الخوف يستبد بهما ، والتعب والعطش يكادان يقتلانهما ، وشعر (نور) بقلبه يتمزّق ، وهو يسمع توسُّلات زوجته الخائفة الضعيفة ، وود لو استطاع أن يسقيها بدمه .

ودار ببصره محاولاً العثور على واحة قريبة ، ولكنه لم ير على مرمى البصر سوى الرمال .. الرمال الساخنة التى تبدو وكأنها تمثل حدود هذا العالم ، فعاد يمسح على جبينها ، وهو يقول بصوت حنون ضعيف :

— صبرًا يا(سلوى)..ستأتى النجدة عمّا قريب.

خرج صوته على الرغم منه متخاذلاً ضعيفًا .. فلقد كانت أطرافه ترتعد ، وقلبه يخفق خوفًا ، وجسده يتهالك ويزداد ضعفًا ، أما عقله فقد سيطرت عليه فكرة واحدة ، ألا وهى الفِرار .. الفِرار من ذلك الخطر الذى يزحف خلفه ، ويهدِّد مصر بأكملها .. الفرار من عدوّ مجهول لا يملك جسدًا أو عقلاً .. الفِرار من ذلك الوباء .. الوباء الجهنميّ .

* * *

٢ — مهمة الخوف ..

قبل أن يتساءل القارئ عما أدّى إلى ذلك المشهد الذى وجدنا عليه (نور) و (سلوى) ، نعود بالأحداث بضع ساعات إلى الوراء .. إلى اللحظة التى توقفت فيها سيارة الدكتور (محمد حجازى) أمام حديقة منزل (نور) و (سلوى) .

هبط الدكتور (حجازى) من سيارته ، ولوَّح بيده لـ (سلوى) التى تحتضن طفلتها الحديثة الولادة ، فبادلته التحية وعلى ثغرها ابتسامة سعادة ، على حين أسرع (نور) نحوه مبتسمًا ، وصافحه بحرارة واحترام قائلاً :

— مرحبًا يا دكتور (حجازى) .. كم تسعدنى رؤيتك !

ربَّت الدكتور (حجازى) على كتف (نور) ،

وتفحّصه بنظرة حانية ، وهو يقول بصوته الهادئ :

ـ مرحى يا (نور) .. من الواضح أنك قد تغلّبت تمامًا على حالة الانهيار العصبى ، التى أصابتك منذ حادث مثلث الغموض .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ صدّقنى يا دكتور (حجازى) ، لقد كان لمولد طفلتنا مفعول السحر فى حياتى وحياة (سلوى) .. لقد رقص قلبى فرحًا فور سماعى لصراخها .

سار الدكتور (حجازى) بجوار (نور)، وهو يقول :

ـ هذه هى معجزة الخالق يا (نور) .. حياة تخرج من حياة .. وبرغم معرفتكما مسبقًا لنوع الجنين إلا أن خروجه إلى الدنيا يمثل معجزة تتكرر فى كل لحظة ، دون أن نسجد شكرًا لها ، وإن كانت تبعث فى نفوسنا نشوة لا تعادلها نشوة .

ضحكت (سلوى) ، وقالت وهى تنهض لمصافحة الدكتور (حجازى) :

ـ هذا صحيح يا دكتور (حجازى) ؛ ولذا أطلقنا عليها اسم (نشوى) .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ اسم طريف ، يبدأ بأول حروف اسم (نور) ، وينتهى بآخر حروف اسم (سلوى) .. لقد أحسنتما الاختيار .

وما أن جلس الدكتور (حجازى) على المقعد المقابل لـ (سلوى)، حتى لاحظ أن نظرات (نور) قد تركّزت على بقعة تقع خلف ظهره ، وظهر على وجهه اهتمام بالغ ، فاستدار الدكتور (حجازى) إلى حيث ينظر (نور) ، ورفع حاجبيه عندما لاحظ أن ضوء الشرفة يضيء وينطفئ بشكل متعاقب ، وسمع (نور) يقول وهو يتحرك بخطوات واسعة نحو منزله :

ـ معذرة يا دكتور (حجازى) .. سأغيب عنكما بضع دقائق لاغير .

قطّب الدكتور (حجازى) حاجبيه، وقال لـ (سلوى):

— اتصال مع الإدارة ، أليس كذلك ؟

أومأت برأسها موافقة ، وهى تتابع (نور) بقلق ، ثم قالت :

— إنه كذلك يا دكتور (حجازى) .. تصوّرْ أنه لم يطلعنى حتى الآن على وسيلة الاتصال .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال بلهجة تنم عن الإعجاب :

— هكذا (نور) يا ابنتى .. كتوم ومخلص لوطنه .

* * *

دلف (نور) إلى حجرة مكتبه ، وحرص على إغلاق الباب خلفه بإحكام ، ثم اتجه نحو مكتبه وهو يتساءل فى قرارة نفسه ، عن السبب الذى يمنعه من إطلاع (سلوى) على وسيلة الاتصال بينه وبين القائد الأعلى للمخابرات العلمية ؛ برغم أنها أحد أفراد فريقه ، ولكنه لم يلبث أن ابتسم عندما تذكّر أن المخابرات العلمية تحرص على تغيير وسائل اتصالها باستمرار ضماناً

للسرية ، فحتى لو أخبر (سلوى) بالوسيلة الحالية فلن يفيدها ذلك لأكثر من ثلاثة أيام على الأكثر ..

جلس (نور) خلف مكتبه ، وتناول أسطوانة صغيرة ذات لون أسود لامع ، ودسَّها فى فراغ مستطيل بجانب المكتب ، ثم ضغطها بأصابعه إلى الداخل ، وفى الحال انطلق خيط من الضوء الأزرق من فجوة بحجم رأس الدبُّوس على سطح المكتب ، سرعان ما اتخذ شكل صورة مجسَّمة للقائد الأعلى ، الذى قال فى الحال بصوت واضح القلق :

— مرحبًا أيها الرائد .. كيف حال زوجتك وابنتك حديثة الولادة ؟

قال (نور) باقتضاب :

— فى خير حال يا سيّدى .. خيرًا !

كان التوتُّر واضحًا فى نبرات القائد الأعلى ، وهو يقول :

— أمامى مهمة حسّاسة للغاية ، تحتاج إلى تحرُّك

فريقك بصورة عاجلة ومنظمة يا (نور) ، وإلا انهارت جمهورية مصر العربية فى أقل من ثلاثة أيام .

التقى حاجبا (نور) وهو يقول ، وقد انتقل إليه قلق القائد الأعلى :

ـ إلى هذا الحدّ يا سيّدى ؟

قطّب القائد الأعلى حاجبيه بدوْره ، وقال :

ـ إن الوباء ينتقل بسرعة خرافية أيها الرائد .. وباء عجيب لم تشتمل مراجع الطب على مثله من قبل .

فغر (نور) فاه ، وهو يقول بدهشة عارمة :

ـ وباء ؟.. إن وسائل الوقاية الصحيحة الحديثة تتغلّب على أبشع أنواع الأوبئة يا سيّدى ، فكيف ..؟

قاطعه القائد الأعلى وهو يقول :

ـ إن هذا الوباء من نوع غامض مجهول أيها الرائد .. إنه باختصار وباء الخوف .

ازدادت دهشة (نور) ، وعجز عن التعليق بكلمة ، على حين استطرد القائد الأعلى بسرعة :

ـ لقد بدأت أولى بوادر هذا الوباء فى الساعات الأولى من صباح أمس يا (نور) ، فى مدينة (السلُّوم) .. فما أن بدأ المواطنون هناك فى مزاولة أعمالهم المعتادة حتى انتاب ذعر مفاجئ غير مفهوم إحدى عاملات مصنع للأدوية ، وصرخت فزعًا وهى تتراجع مبتعدة عن الآلة التى تعمل عليها ، وصرخت : إن الآلة تريد التهامها ، وقبل أن يتدخَّل أحدهم لإسعافها ، انتشرت حالات الخوف والفزع بشكل وبائى مذهل ، وتمثَّل الخوف بصور مختلفة .. فأحدهم يصرُخ طالبًا إيقاف استخدام السيارات الصاروخية ، قبل أن تتلوَّث البيئة بالغبار الذرّىّ ، وآخر انهار تمامًا وهو يؤكد أن المدينة ستبتلعها الفيضانات ، وأمثلة أخرى عجيبة .

صمت القائد الأعلى لحظة ازدادت فيها دهشة (نور) ، ثم تابع قائلاً :

ـ ولم تمض ساعة من الزمن ، حتى كانت المدينة

بأكملها قد أصيبت بحالة من الفزع القاتل .. وكلمة القاتل هذه ليست مجازية .. فقد لقى بعضهم مصرعه فعلاً من شدة الخوف ، وارتسمت على وجوه جثثهم أبشع علامات الرعب والفزع دونما سبب واضح ... وقبيل الظهيرة كان الوباء قد شمل (سيدى برانى) أيضًا ، وانتشرت حالات الخوف والفزع ، حتى وصلت إلى (مرسى مطروح) فى التاسعة من مساء أمس .

سأله (نور) بدهشة :

ــ أهو نوع من الفيروسات الجديدة ؟.. أعنى أهى حرب (ميكروبيولوجية) يا سيّدى ؟

مطّ القائد الأعلى شفتيه علامة عدم التأكد ، وهو يقول :

ــ لم تتوصّل معاملنا إلى السبب بعدُ يا (نور) .. كل ما تمكنا من فعله هو إخلاء المدن التى تقف فى طريق هذا الوباء ، وستقلك طوّافة جويّة فى الحال أنت

وفريقك إلى (مرسى مطروح) ، مزوّدين بالأردية الواقية من الميكروبات ، والكائنات الدقيقة ، وحتى الإشعاعات .. وسنمنحك كل السلطات ، وستسير تحريّاتكم جنبًا إلى جنب مع الأبحاث فى معاملنا ، فلا بد من التوصُّل إلى سبب هذا الوباء بأقصى سرعة ممكنة .

تردّد (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

ــ الفريق بأكمله يا سيّدى ؟

قال القائد الأعلى بأسلوب حاول أن يجعله صارمًا :

ــ نعم يا (نور) الفريق بأكمله ، وسنوفّر لابنتك مربّية وكل وسائل الرعاية ، إلى حين عودتكم من هذه المهمة .. وبالمناسبة .. سيصحبكم الدكتور (محمد حجازى) ، ليجرى الصفة التشريحية على ضحايا ذلك الوباء .

ثم صمت لحظة وصل خلالها صوت الطّوافة إلى مسامع (نور) ، قبل أن يستطرد القائد الأعلى :

ــ إن سرعة انتشار هذا الوباء تشير إلى أنه بعد

ثلاثة أيام على الأكثر ستصبح بلادنا بأكملها ضحيَّة حالة من الخوف الشديد ، تجعل من السهل على كتيبة واحدة من جيوش أية دولة معادية أن تحتل أرضنا تمامًا .. ومن هنا تأتى خطورة مهمتكم أيها الرائد .

اعتدل (نور)، وتوتَّرت عضلات وجهه وهو يقول بحزم:

ـ سنبذل أقصى ما بوسعنا يا سيِّدى .

قال القائد الأعلى بقلق وعجلة :

ـ أرجو ذلك أيها القائد .. وفقكم الله .

تلاشت صورة القائد الأعلى ، وأسرع (نور) ينتزع الأسطوانة من مكانها ، ثم يتحرَّك بخطوات سريعة ، مجتازًا باب غرفة مكتبه ، وباب منزله ، نحو الطوافة التى قبعت كوحش ضخم ، ومن نوافذها أطلَّت وجوه (رمزى) ، و (محمود) ، والدكتور (حجازى) ، وحتى (سلوى) ...

كان القلق يبدو على ملامحهم ، وهم يعلمون أنهم فى طريقهم لمحاربة الخوف نفسه .

* * *

٣ ـ بداية خطرة ..

دار قائد الطوَّافة الجوِّية دورة كاملة فوق مدينة (مرسى مطروح) ، ثم اتجه نحو بقعة خالية وهو يقول :

ـ سيكون عليكم أيها الشبان دخول المدينة سيْرًا على الأقدام .

قالت (سلوى) بتبرُّم :

ـ وماذا يمنع هبوطنا وسط المدينة ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى قائد الطوَّافة ، دون أن يعنى بإجابة تساؤل (سلوى) ، فقال (نور) :

ـ سيكون هذا مخاطرة غير مأمونة العواقب يا (سلوى) ؛ فلا يمكننا الجزم بما قد يفعله السكان ، عند رؤيتنا نهبط من الطوَّافة بالملابس الواقية الشفافة ، قد تصوَّرنا لهم حالة الخوف التى تملأ وجدانهم أننا غزاة من الفضاء الخارجى .

قال قائد الطائرة بسخرية :

ـــ إنهم فى حالة من الجنون يا سيِّدتى .. جنون مبعثه الخوف .

تدخَّل (رمزى) قائلاً :

ـــ ألم يكن من الأفضل أن ترتدى رداءك الواق بدلاً من هذه السخرية ؟

ضحك الطيار وهو يقول :

ـــ لست بحاجة إلى ذلك يا فتى .. لن يهاجمنى الوباء فى اللحظات القليلة ما بين هبوطكم وعودتى .. لا أظنه بهذه القوة والسرعة ...

كان الطيار يستعد للهبوط بالطَّوافة ، عندما جحظت عيناه فجأة ، وظهرت على ملامحه أقسى حالات الرعب والفزع وهو يصيح :

ـــ يا إلهى !! جهاز الهبوط اختل .. ستتحطَم الطَّوافة .. سنقضى نحبنا جميعًا .

وأسرعت يده بفزع جنونى نحو ذراع الهبوط ، وسط ذهول الجميع وهو يصيح برعب :

ـــ سنموت جميعًا .. سنتمزَّق إربًا ..

صاح (نور) وهو يقفز نحو الطيار محاولاً منعه :

ـــ يا إلهى !! إنه الوباء .. لقد أصيب الطَّيار بالرُّعب الغامض .

مالت الطَّوافة بشكل خطر و (نور) يحاول انتزاع كفَّ الطيار من ذراع الهبوط ، وصرخت (سلوى) ، على حين تحجَّرت مشاعر الباقين ، والطَّوافة تدور حول نفسها ، وتحتك بالأرض ..

كان الرعب يدفع الطَّيار إلى أداء محاولات غير منطقية ، تزيد الطين بلَّة .. فلم يكن أمام (نور) إلا أن لكمه لكمة قوية على طرف فكِّه أفقدته وعيه ، وقفز هو محاولاً السيطرة على الطَّوافة ، إلا أن الوقت لم يمهله ، إذ احتك جانب الطَّوافة بالأرض ، وزحفت عدة أمتار على جانبها قبل أن تدور حول نفسها وتتوقَّف ، ثم تشتعل النيران بمقدمتها ..

صاح (نور) برفاقه الذين تولَّاهم الفزع :

— أسرعوا بالهرب من باب الطوارئ .. ستنفجر هذه الطَّوافة ما بين لحظة وأخرى .

قفز الجميع من باب الطوارئ ، عدا (نور) الذى حاول باستماتة انتزاع الطيار الذى أطبقت آلات الطَّوافة المحطَّمة على صدره .. وبعد عدة محاولات نجح (نور) ، فأسرع يقفز من الطوافة ، حاملاً الطيار على كتفه ، وأخذ يعدُو بحمله ، محاولاً الابتعاد بقدر الإمكان ، فصاحت (سلوى) بجزع :

— أسرع يا (نور) .. أسرع .. لقد غابت الطَّوافة بأكملها وسط النيران .

بذل (نور) جهدًا مضاعفًا ، محاولاً الوصول إلى حيث يحتمى رفاقه بصخرة ضخمة ، وعندما أصبح على بعد خطوات منها انفجرت الطَّوافة ، وشعر (نور) بجسده يندفع إلى الأمام بفعل الضغط الناشئ ، ويرتطم بالصخرة الضخمة ، ثم استغرق فى غيبوبة عميقة .

* * *



فأسرع يقفز من الطوافة ، حاملًا الطيار على كتفه ، وأخذ يعدُو بحمله ، محاولًا الابتعاد بقدر الإمكان ..

دار عقل (نور) فى دوَّامة مظلمة عميقة .. وبعيدًا فى قلب الدوَّامة بدأ بصيص من النور ، ازدادت شدته ببطء ، حتى شمل معظم دوائر الدَّوامة ، فى اللحظة التى سمع فيها (نور) صوت (سلوى) ، وكأنه يأتى من بئر عميقة قائلًا :

ــ ها هما ذان جفناه يرتعشان .. سيعود إلى وعيه قريبًا .

وأتاه صوت الدكتور (حجازى) أكثر وضوحًا يقول :

ــ لقد أنقذه ذلك الرداء الواقى ، فلولاه لمزقته الشظايا إربًا .

واستيقظ عقله تمامًا على صوت (رمزى) ، يقول بأسف :

ــ مسكين هذا الطيَّار .. لو أنه ارتدى زيَّه الواقى ، ما كانت هذه نهايته .

فتح (نور) عينيه ، وقال :

ــ ماذا أصاب الطيَّار يا (رمزى) ؟

انحدرت دموع الفرح من عينى (سلوى) ، وهى تقبض على يد زوجها بحنان ، وابتسم الدكتور (حجازى) ، وتنهَّد (محمود) بارتياح ، على حين قال (رمزى) :

ــ لقد قتله استهتاره أيها القائد .. لقد أصابته شظايا الانفجار فى عنقه ، فقضى نحبه فى الحال .

نهض (نور) واقفًا ، وقال :

ــ يا لها من بداية عنيفة لمهمتنا !! تحطَّمت طوَّافتنا ، ولقى قائدها مصرعه .. تُرى ماذا يدَّخر لنا هذا الوباء الجهنَّمى ؟

قال الدكتور (حجازى) بصوت هادئ أدهش الجميع :

ــ ربَّما لم تكن البداية بهذا السوء .. إننى على العكس أراها أفضل بداية لمهمتنا هذه .

نظر إليه (نور) و (محمود) بدهشة ، وزوَى (رمزى) ما بين عينيه مفكرًا ، على حين صاحت (سلوى) باستنكار :

ـ يالله !! كيف تجد أية فائدة فيما حدث يا دكتور (حجازى) ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهز رأسه وهو يقول :

ـ إننى أعجب كيف لا تلاحظون الفائدة الخطيرة لهذا الحادث أيها الشبان ؟.. لو تخلّيتم عن عواطفكم لحظة ، وفكّرتم فى هذا الأمر بعقولكم فقط ، لوجدتم أنها فرصة ذهبية .

ثم استطرد وهو يضحك للدهشة التى ارتسمت على وجوههم :

ـ نعم .. إنها فرصة ذهبية أن نرى بأعيننا كيف يصاب الإنسان بالوباء ، وماذا يكون ردّ فعله حينذاك .. ما زلت أصرّ على أنها خير بداية لمهمتنا أيها الشبان .

* * *

جلس الجميع صامتين حول الصـخرة الضخمة ،

واستحوذ عليهم الصمت فترة طويلة ، قبل أن يقول (رمزى) :

ـ دعونا نستعد ما حدث بالتفصيل يا رفاق .. قد نصل بهذه الوسيلة إلى ما خفى على علمائنا .

قالت (سلوى) بتهكّم :

ـ إن ما حدث لم يستغرق أكثر من ثلاث دقائق يا (رمزى) .

قال (نور) :

ـ فى هذا العصر تكفى الدقائق الثلاث لتصوير العالم بأكمله فى الأقمار الصناعية يا (سلوى) .

قال (رمزى) :

ـ حسنًا سأبدأ بنفسى .. سأبحث ما أصاب الطيار من الناحية النفسية البحتة .

تعلّقت به أبصار الجميع ، فاستطرد بهدوء :

ـ لقد كان الطّيار يمرُّ بحالة من الهدوء النفسى والثقة الزائدة ، إلى حد السخرية من وباء غامض ، أثار

قلق وذعر أعلى المستويات فى مصر ، وفجأة وأمام أعيننا جميعًا أصيب بحالة من الخوف الشديد ، والذعر الذى دفعه إلى إتيان أفعال غير منطقية ، كما يحدث دائمًا فى حالات الخوف المفاجئ .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ يمكنك أن تضيف أن الطيار قد استخدم قوته بأكملها ، فى محاولة منع الطَّوافة من الهبوط .

قال (محمود) :

ــ وما الذى يمكننا التوصُّل إليه من خلال هذه المعلومات ؟

رفع الدكتور (حجازى) سبَّابته أمام وجهه، وقال :

ــ الكثير يا (محمود) .. سنلاحظ أولاً أن الطَّيار قد أصيب بالوباء وحده ، وهذا يعنى أن الرداء الواق يمكنه حمايتنا بالفعل ، وثانيًا أن الوباء قد نفذ من خلال الطَّوافة برغم إحكام إغلاقها ، وهذا يعنى أنه يمتلك قوة اختراق مذهلة .

هزَّ (نور) رأسه ، وهو يقول :

ــ إن ما يحيرنى بالفعل يا دكتور (حجازى) هو طبيعة هذا الوباء .. أهو فيروس غامض جديد يصيب الجهاز العصبى مثلاً ؟ أم هو نوع من السم يمكن خلطه بمياه الشرب ؟ أم ماذا ؟

أطبق الدكتور (حجازى) شفتيه ، ثم قال :

ــ هذا السؤال سابق لأوانه يا (نور) ، فإجابته تحتاج إلى إكمال التحرِّيات ، وتشريح جثة أحد الضحايا ، وتحليل محتويات المعدة والدم .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، ثم قال :

ــ هذا صحيح يا سيِّدى .. ولهذا فسنبدأ تحرِّياتنا على الفوْر .

ثم التفت إلى رفاقه ، واستطرد قائلاً :

ــ سأتولَّى أنا و (سلوى) فحص الجانب الشرقىّ من المدينة ، على حين يقوم (رمزى) و (محمود) بصحبتك يا دكتور (حجازى) ، بفحص الجانب الغربى والساحل .

بدأ الجميع تحرُّكهم ، على حين أردف (نور) بلهجة قلقة :

ــ وليحرص كل منّا على ردائه الواقى ، وإلا فسيكون أول من يتمزّق رداؤه منا ضحيّة جديدة ، تضاف إلى ضحايا (الوباء الجهنّمى) .

* * *



٤ ــ رجل لا يخاف ..

لم يكد (نور) و (سلوى) يخطوان داخل الشارع الرئيسى بالمدينة ، حتى تسمَّرت أقدامهما ، وجحظت عيونهما دهشة ، فلقد كان الشارع ممتلئًا عن آخره بأجساد الرجال والنساء والأطفال ، الذين سقطوا على الأرض فى أوضاع مختلفة ، وقد ارتسمت على وجوههم آيات الرعب والفزع ...

تمتمت (سلوى) بجزع :

ــ يا إلهى !! كأننا فى (بومباى) بعد ثورة بركانها الشهير .

قال (نور) بصوت خافت ، وهو يقترب من أحد الأجساد المتناثرة :

ــ باستثناء أن هذه الأجساد تبدو سليمة ، لم تلتهمها الحمم كما حدث فى (بومباى) .

وجثا أمام أحد الأجساد ، وأخذ يفحصه بعناية ، قبل أن يلتقى حاجباه وهو يقول :

ـ عجبًا !! إنهم أحياء ولكنهم فى غيبوبة عميقة .

قالت (سلوى) وهى تفحص جسدًا آخر :

ـ هذا صحيح .. ماذا أصابهم يا تُرى ؟

نهض (نور) واقفًا ، ودار ببصره فى أنحاء المكان ، يلقى نظرة على الأجساد المتناثرة ، ثم قال بهدوء :

ـ إنه انهيار عضلى يا عزيزتى .

نظرت إليه (سلوى) بدهشة ، وقالت :

ـ ما معنى هذه الكلمة يا (نور) ؟

قال (نور) ببساطة وهو يعاونها على النهوض :

ـ نفس ما يحدث بعد بذل مجهود عضلى زائد عن الحدّ يا (سلوى) ، تستنفد العضلات كل مخزونها من الطاقة والأكسوجين ، ثم تصاب بالتعب الشديد ، أو ما يسمى بالإجهاد أو الانهيار العضلى ، فيصاب الإنسان بالغيبوبة وفقدان الوعى ، وتعتبر هذه الخطوة

مرحلة دفاعية ، يتخذها الجسم ليقلّل من استهلاكه للطاقة والأكسوجين إلى أقصى حدّ ، حتى يتمكّن من استعادة نشاطه .

قالت (سلوى) بقلق :

ـ وكم تستغرق هذه المرحلة ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ يتوقف هذا على مدى المجهود المبذول مسبقًا ، وأعتقد أن انفعال الخوف الشديد الذى أصاب هذه الأجساد ، قد استنفد قدرًا ضخمًا من طاقتها .

قالت (سلوى) ، وعلى شفتيها ابتسامة شاحبة قلقة :

ـ لو أننا حسبنا إذن كمية النوم العميق التى نمرّ بها ، بعد بذل مجهود متوسط ، لوجدنا أن هؤلاء المساكين سيستغرقون وقتًا طويلاً جدًّا فى غيبوبتهم .

ثم ضحكت ضحكة عصبية ، وهى تشير إلى الأجساد المتناثرة قائلة :

— تصوَّر أننى كنت أتوقَّع مقاومة شديدة ، أو على الأقل موجة من الفزع القاتل تنتاب هؤلاء المساكين ، فور رؤيتهم لنا فى هذا الرداء العجيب .. لم أتصوَّر مطلقًا أن يكون دخولنا إلى المدينة بهذه البساطة .

تجمَّدت ملامح (نور) فجأة ، ثم ظهر الانفعال الشديد على وجهه ، وهو يمسك معصم (سلوى) صائحًا :

— يا إلهى !! إن عبارتك هذه قد أثارت بداخلى رعبًا شديدًا يا (سلوى) .

حدَّقت (سلوى) فى وجهه بذعر ، وصاحت :

— (نور) !!.. هل أصابك ذلك الوباء ؟

واحتبست عبارتها فى حلقها ، عندما ارتسم الجزع بأقصى صورة على ملامح (نور) ، وفوجئت بيده تسرع نحو مسدسه الليزرى المثبَّت بحزامه ، فصرخت بفزع شديد وهى تمدّ كفها أمامها محاولة منعه :

— لا يا(نور)..قاوم هذا الوباء..إننى زوجتك.

ثم انطلقت من حنجرتها صرخة قوية ، ارتجَّ لها جسدُها بأكمله ، عندما دفعها (نور) بقسوة ، وانتزع مسدسه الليزرى ، وأطلق دفقة من أشعته .

* * *

حدَّق (محمود) بدهشة فى الأجساد المتناثرة ، ثم قال بصوت حشرجه الانفعال :

— يا إلهى !! وهل يمكن للإجهاد العضلى أن يفعل ذلك ؟

قال الدكتور (حجازى) بهدوء :

— وأكثر من ذلك يا (محمود) ، فما أن يتمرَّد الجسد البشرى على صاحبه حتى يأبى مواصلة عمله ، ويستسلم للرقاد .

قال (رمزى)،وقد انتهى من فحص أحد الأجساد:

— ولكن بعضهم لم يتحمَّل يا دكتور (حجازى) ، فلا ريب أن قلب هذا الرجل كان من الضعف ، بحيث قضى نحبه من شدة الإجهاد .

تلفت الدكتور (حجازى) حوله ، ثم قال :

ـ لو لم تخنى ذاكرتى، فإن معمل (مرسى مطروح) للطب الشرعى يقع قريبًا من هنا ، وسأحتاج إلى معاونتك لتشريح هذه الجثة ، عساها أن تقودنا إلى تفسير مقنع لهذا الوباء يا (رمزى) .

ثم أردف ببساطة ، وهو ينحنى نحو الجثة :

ـ وسنتغاضى مؤقتًا عن شرط موافقة أهل المتوفى .

* * *

تطلّع (محمود) إلى الأجهزة الحديثة التى تملأ معمل (مرسى مطروح) للطب الشرعى ، واقترب من أحدها يفحصه ، وقد تغلّب عليه فضوله العلمى ، ولكنه سرعان ما استدار نحو (رمزى) والدكتور (حجازى) ، وقال بملل :

ـ ألم تنتهيا من عملكما بعد ؟

لم يبد على أحدهما أنه قد استمع إلى عبارة (محمود) ، إذ انهمك الدكتور (حجازى) فى عمله وهو يقول لـ (رمزى) :

ـ من الواضح أن قلبه ضعيف بالفعل ، فهأنتذا ترى أن البطين الأيسر متضخّم بشكل لا يقبل الشك ، والصمام الأورطى متراخ بشكل يوحى بأنه مصاب بالإرجاع الأورطى منذ زمن طويل ، ولو أنك فحصت الشرايين التاجية فستجدها مصابة بالضيق والانسداد غير الكامل ، ومن الطبيعى أن يقضى هذا الرجل حتفه من شدة الإجهاد .

سأله (رمزى) بفضول :

ـ إذن ، فهذا هو سبب الوفاة يا دكتور (حجازى) ، ولكن ماذا عن الوباء ؟

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهزّ رأسه وهو يقول :

ـ باقى الجسم سليم للغاية ، باستثناء المظاهر المصاحبة لهبوط القلب يا (رمزى) .. ويمكننى أن أقول إن هذا الوباء لا يترك آثارًا تشريحية فى جسد ضحاياه .

أشار (رمزى) إلى أحد الأجهزة الحديثة ، وقال :

— وماذا لو فحصنا أنسجة الجسم بالميكروسكوب الأيونى ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

— سنفعل ذلك يا تلميذى النجيب ، ولكننا سنقوم أولاً بتحليل محتويات المعدة ، وعينة من الدم والنخاع ، فقد يكشف أحدها عن فكرة السم الجديد .

همَّ (رمزى) بسؤال الدكتور (حجازى) ، عمَّا يمكن أن يجده من خلال هذه التحليلات ، عندما ندت من حنجرة (محمود) صرخة مكتومة ، فالتفت كلاهما نحوه بذعر ، وصاح به الدكتور (حجازى) :

— ماذا حدث يا (محمود) ؟.. ماذا رأيت ؟

أشار (محمود) بأصابع مرتجفة نحو النافذة الزجاجية ، وصاح بذعر :

— هناك .. لقد رأيته بوضوح .

قفز (رمزى) نحوه ، وأمسك كتفيه بقوة وهو يصيح به :

— ماذا رأيت يا (محمود) ؟.. ما الذى أثَار فزعك إلى هذه الدرجة ؟

نظر الدكتور (حجازى) من خلال النافذة ، وقال بدهشة :

— إننى لا أرى ما يثير الدهشة يا (محمود) !

صاح (محمود) بإصرار :

— ولكننى رأيته بوضوح يا دكتور (حجازى) .. لقد رأيت رجلاً يسير وسط الأجساد المتناثرة ، وبيده بندقية من بنادق الليزر .

رفع (رمزى) حاجبيه بدهشة ، وصاح :

— ولكن هذا مستحيل .. سيصيبه الوباء فى لحظات .

هزَّ (محمود) رأسه بقوَّة ، وصاح بصوت مرتعد :

— لن يصيبه الوباء بسوء يا (رمزى) .. لقد رأيت رجلاً يرتدى رداء واقيًا مثل هذا الذى نرتديه .. رجلاً لا يخشى (الوباء الجهنمى) .

* * *

٥ ـ الصـراع ..

تسمَّر الدكتور (حجازى) و (رمزى) عند سماعهما لعبارة (محمود) ، وعادا ينظران من خلال النافذة الزجاجية ، على حين صاح (محمود) بعصبية :

ــ ينبغى أن تصدِّقانى .. لقد رأيته بوضوح ، إنه لم يكن وهما .

تحرَّك الدكتور (حجازى) نحو باب المعمل ، وهو يقول بحزم :

ــ أنا أصدِّقك يا فتى ، فما دمت تقول : إنك قد رأيته ، فأنا أصدِّقك .

تبعه (محمود) و (رمزى) إلى خارج المعمل ، وتلفَّت الجميع حولهم ، وقد ساورهم شعور غامض بالقلق ، حتى ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال بهدوء :



— ألا يحتمل أن تكون قد رأيت صورة منعكسة أو ....

قاطعه (محمود) صائحًا بعصبية :

— أقسم لكما أن ما رأيته كان حقيقة ، فلم يكن هذا الرجل يرتدى رداءًا مثل ردائنا ، بل كانت هناك بعض الاختلافات و .....

وقبل أن يكمل (محمود) عبارته ، شق الهواء شعاع من الليزر الأزرق ، أصاب ذراعه اليمنى مخترقًا الرداء الواق ، فصرخ بألم وجزع ، على حين التفت (رمزى) والدكتور (حجازى) بحدّة نحو مصدر الأشعة ، فى نفس اللحظة التى أصابت فيها دفقة أخرى من الأشعة حاجز المعمل بجوار رأس الدكتور (حجازى) ، الذى هتف بذعر :

— يا إلهى !! إنه غزو ..

كان يقف بمواجهتهم رجل يرتدى رداءًا واقيًا ، يحمل شعار إحدى الدول المعادية ، وبيده بندقية من بنادق



وقبل أن يكمل (محمود) عبارته ، شق الهواء شعاع من الليزر الأزرق ، أصاب ذراعه اليمنى ..

الليزر ، يستعد لإطلاقها نحوهم مرة ثالثة .

* * *

تمنّى الدكتور (حجازى) فى هذه اللحظة لو أنه كان أقل وزنًا ، وأخف حركة .. أو لو أنه وافق على حمل مسدس الليزر الذى سلّمه إلى (نور) ، ولكن أمنياته هذه لم تمنعه من القفز بعيدًا ، متفاديًا الدفقة الثالثة من الإشعاع التى تخطته وأصابت (رمزى) ، الذى كان قد انتزع مسدسه بالفعل ، ولكنه صرخ صرخة مكتومة ، وجحظت عيناه ألمًا ، وهو يمسك معدته التى اخترقها شعاع من الليزر ...

حدّق الدكتور (حجازى) فى الرجل الذى صوّب إليه مسدسه ، وشعر لحظة باليأس والفزع .. فمن غير المعقول منطقيًّا أن يتمكن هو بجسده المترهّل وحركاته البطيئة ، من هزيمة ذلك الرجل الذى تبدو قامته الرياضية واضحة تحت أشعة الشمس .

وبحركة تلقائية دفعته إليها غريزة حب البقاء ، قبضت

يد الدكتور (حجازى) على قطعة من الصخر المتخلّف عن إصابة حاجز المعمل ، وألقى بها بقوة ويأس نحو الرجل ، ثم أغمض عينيه انتظارًا للطلقة الليزرية التى ستصيبه حتمًا ..

صكّ مسامعه فجأة صوت آهة متألمة ، وتحطّم زجاج ، وتأخّرت الطلقة التى كان من المفروض أن تخترق رأسه ، ففتح عينيه ببطء ، وسرعان ما تهلّلت أساريره ..

كانت الصخرة التى ألقاها نحو الرجل قد حطّمت خوذته المصنوعة من اللدائن ، وجرحت وجهه ، وأسقطت بندقيته أرضًا .. فقفز الدكتور (حجازى) محاولاً الوصول إلى البندقية ، ولكن خصمه التقطها برشاقة يفتقدها هو ، وعاد يصوّبها نحوه وقد دلّت ملامحه على غضب عارم ..

وفجأة تبدّلت ملامح الرجل ، وارتعد وجهه بشدة ، ثم جحظت عيناه رعبًا وفزعًا ، ونظر إلى الدكتور

(حجازى) برعب .. وما أن رَوى هذا الأخير حاجبيه دهشة ، حتى ألقى الرجل بندقيته أرضًا ، وجثا على ركبتيه ، وهو يلوِّح بذراعيه فى فزع ، ويصرخ بعبارات مبهمة ، وبلغة لم يفهم منها الدكتور (حجازى) شيئًا ، وإن كان من الواضح أنه يتوسَّل إلى الدكتور (حجازى) للإبقاء على حياته ..

نظر إليه الدكتور (حجازى) بدهشة فى البداية ، ثم تمتم بصوت غاية فى الخفوت :

ـ يا إلهى !! إنه الوباء .. لقد أصابه الوباء بمجرَّد تحطُّم خوذته .. عجبًا لقد هزمه سلاح قومه .

وفجأة تنبَّه إلى خطورة موقف (محمود) و (رمزى) ، فأسرع الخطا نحوهما ، وانحنى يفحص (رمزى) ، على حين قال (محمود) بألم :

ـ لقد كنت عظيمًا يا سيِّدى !

بذل الدكتور (حجازى) مجهودًا عنيفًا ، لحمل جسد (رمزى) الذى فقد وعيه ، وأخذ جرحه ينزف

بغزارة ، وقال بصوت أرعشه اللهاث :

ـ دَعْكَ من هذا يا فتى .. أراهنك أن هذا المعتدى لم يكن سوى طليعة لغزو ضخم .. لا بد لنا من كشف طبيعة هذا الوباء بأقصى سرعة ممكنة ، وإلا وجد هؤلاء الغزاة مصر فريسة سهلة بين مخالبهم .

* * *

قال (محمود) بصوت ضعيف ، وهو يتأمَّل العمل الماهر الذى يقوم به الدكتور (حجازى) بسرعة وخبرة :

ـ هل تعتقد أنه سيشفى يا دكتور (حجازى) ؟

قال الدكتور (حجازى) بهدوء لا يتناسب مع القلق المرتسم على ملامحه :

ـ لا يمكننى أن أجزم بذلك يا فتى .. إن الإمكانات التى تتوافر فى معمل للطب الشرعى لا تشبه بأى حال من الأحوال تلك التى تزدحم بها المستشفيات العلاجية .. كنت أتمنَّى أن أعالج جراحه بالليزر ،

ولكننى اضطررت لخياطتها بالأسلوب القديم ، ومن المؤسف ألاَّ أجد فى متناول يدى ما يمكننى من تعويض دمائه المفقودة .

قال (محمود) ، وهو يغلق عينيه بألم وضعف :

ـ كلى ثقة بمهارتك يا سيِّدى .

قال الدكتور (حجازى) وهو يرفع يديه ، بعد أن انتهى من عمله :

ـ إن مهارتى لا تقاس بمهارة جرَّاح محترف يا (محمود) ، ولكننى أظن أنه سيشفى .

قال (محمود) بصوت شاحب :

ـ يكفينى قولك هذا يا سيِّدى .

ثم تراخى فى مقعده ، وغاب عن الوعى من شدة ضعفه ، فتأمَّله الدكتور (حجازى) بأسف ، ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وهتف من أعماق قلبه :

ـ ساعدنى يا إلهى على إنقاذهما ، وإنقاذ مصر بأكملها من ذلك الوباء الجهنمى !!

وانطلقت من صدره آهة عميقة وهو يردف بجزع :

ـ (سلوى) .. (نور) .. ترَى ماذا أصابكما يا ولدىَّ ؟

* * *



٦ ـ الغـزو ..

انطلقت من حنجرة (سلوى) صرخة قوية ، ارتجَّ لها جسدها بأكمله ، عندما دفعها (نور) بقسوة ، وانتزع مسدسه الليزرى ، وأطلق دفقة من أشعته ...

خيِّل إليها لحظة أن الأشعة مصوَّبة إلى جسدها ، وأن (نور) قد سقط ضحية (الوباء الجهنمى) ، ولكنها فوجئت بالأشعة تمرق بجوارها ، وسمعت صوت صرخة ألم قوية تأتى من خلفها ، فاستدارت بحركة حادة إلى حيث انطلقت الصرخة ..

اتسعت عينا (سلوى) دهشة وذعرًا ، عندما وقعت عيناها على ثلاثة رجال يرتدون الأردية الواقية ، التى تحمل شعار إحدى الدول المعادية ، وقد صوَّب اثنان منهما بندقيتى ليزر نحوها ونحو زوجها ، على حين أمسك الثالث معصمه بألم ، بعد أن أصابته أشعة (نور) ، فصرخت فى جزع :



ـ يا إلهى !! إنه غزو يا (نور) .

جذبها (نور) إليه بقوة ليبعدها عن طريق الأشعة التى انطلقت نحوهما ، وأطلق مسدسه فى الوقت نفسه ، فحطَّم بندقية الأشعة فى يد الرجل الأوّل ، واخترقت أشعته عضد الثانى ، ثم أمسك معصم (سلوى) ، وأخذ يعدُو محاولاً الاحتماء بساتر ما لمواصلة التراشق ، ونجا كلاهما بأعجوبة من ثلاث طلقات ليزرية مرقت إحداها بينهما ، وأصابت الأخرى الأرض بين قدميهما ، وتلاشت الثالثة فى الهواء فوق رأسيهما ، إلا أنهما نجحا أخيرًا فى الاختباء خلف حاجز رصاصى لأحد مراكز الشرطة ، أصابته طلقتان من طلقات الليزر فى نفس اللحظة ..

قالت (سلوى) بفزع ، وهى تلهث من الإجهاد والانفعال :

ـ يا إلهى !! ما الذى يحدث فى هذا العالم ؟. إن هؤلاء الرجال ينتمون إلى دولة معادية .. إنه غزو يا (نور) .

قال (نور) بشرود ، وهو يحرِّك مفتاح الطاقة بمسدسه :

ـ نعم يا عزيزتى .. لقد تنبَّهت إلى هذه الحقيقة قبل لحظة واحدة من ظهور هؤلاء الغزاة .. تنبهت إليها من خلال عبارتك يا (سلوى) .

أصابت طلقة ليزرية طرف الحاجز ، وتوهَّجت وهى تتلاشى فى الهواء ، فقطَّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ـ إنهم ستة رجال ، ولقد أصبنا ثلاثة منهم ، وبقى أمامنا ثلاثة .

وأعقب عبارته بأن نهض بسرعة خاطفة ، وأطلق دفقة من أشعة مسدسه ، أذابت عظام يد أحد الرجال الثلاثة الباقين ، فتأوَّه بصوت مرتفع ، وأفلت مسدسه بطبيعة الحال ، وعاد (نور) يختفى خلف الحاجز ، وسمع (سلوى) تسأله ، وقد كاد الفضول يقتلها :

ـ كيف تنبَّهت إلى حقيقة هذا الغزو يا (نور) ؟

أجابها بهدوء ، وهو يختلس النظر إلى حيث يزحف الرجلان الباقيان نحوهما :



أجابها بهدوء ، وهو يختلس النظر إلى حيث يزحف
الرجلان الباقيان نحوهما ..

ـ لقد ذكرت يا عزيزتى ،أنك لم تتصوَّرى مطلقًا دخولنا إلى المدينة دون مقاومة من أهلها ، وهذا ما يطمع فيه الغزاة على مر العصور .. تحطيم المقاومة قبل بدء الغزو .. وهنا تنبَّهت إلى ضرورة أن يرتبط (الوباء الجهنمى) بخطة للغزو .. تصوَّرى دولة مصابة بالخوف الوبائى .. سيجرى جيشها كالفئران أمام جيوش الغزاة ، لن يفكر أهلها فى أى نوع من أنواع المقاومة ، وخاصَّة عندما يصابون بالانهيار العضلى .. سيصبح الغزو فى هذه الحالة مجرَّد نزهة للغزاة .

ثم أردف بلهجة شبه ساخرة :

ـ وبمناسبة الغزاة ، فهم يحاولون محاصرتنا فيما بينهم .

ودفع (سلوى) أمامه وهو يقول :

ـ سنزحف بجوار هذا الحاجز الرصاصى ؛ لنبتعد عن النقطة التى يضعون خططهم لمهاجمتنا فيها ، ثم نباغتهم بدورنا .

أخذا يزحفان بحذر وسرعة ، حتى وصلا إلى نهاية الحاجز ، وفجأة برز أمامهما رجل من الغزاة ، وأطلق نحوهما دفقة من أشعة بندقيته الليزرية .

* * *

أصابت الطلقة الأرض بين قدمى (نور) تمامًا ، وصرخت (سلوى) برعب ، على حين قفز زوجها نحو الغازى ، وأمسك بمعصمه ، ثم طوَّح يده بلكمة قوية فى فكِّه ، جعلته يترنَّح كالمخمور ، بعد أن هشَّمت خوذته .. لم يكن هناك ما يمكن إضاعته من الوقت فى مثل هذه الظروف ، فهوى (نور) بقبضته مرة أخرى على أنف الغازى الذى سقط أرضًا ، ثم ظهرت علامات الرعب والفزع على وجهه ، وصاح متوسِّلاً بلغة أجنبية قديمة ، أجاد (نور) دراستها فى المخابرات العلمية .

حدَّق (نور) فى وجه الغازى ، الذى ارتسمت عليه آيات الذعر والتوسل ، ثم تمتم بدهشة :

ـ إنه الوباء .. كيف يصيب الإنسان بهذه السرعة يا تُرى ؟

وفجأة سمع صوتًا من ورائه ، يتحدَّث العربية بلكنة شرقية عجيبة ، قائلاً :

ـ إذن فما زلتم تتساءلون !.. لقد ظننت وهلة أنكم قد توصَّلتم إلى الحل .

استدار (نور) بسرعة ، محاولاً الدفاع عن نفسه ، ولكن طلقة محكمة من طلقات الليزر أصابت مسدسه ، وأطاحت به بعيدًا ، وفوجئ بأربع بنادق تصوَّب نحو (سلوى) ، ورأى أمامه رجلاً متوسط الطول ، طويل الأنف أجدعه ، ضيق العينين مجعَّد الشعر ، يقول من خلف خوذة ردائه الواق :

ـ لا أظنك ستخاطر بالهجوم ، بعد أن صوَّبنا بنادقنا إلى زميلتك ، أليس كذلك ؟

ثم أردف بسخرية ، وهو يشاهد علامات الحنق التى ارتسمت على وجه (نور) :

ـ ما أحمقكم أيها المصريون !! شهامتكم ومبادئكم تقضى عليكم دائمًا .

قال (نور) بلهجة حاول أن يجعلها هادئة بقدر الإمكان :

— لقد تصوَّرت أنكم ستة أفراد فقط .. لقد خدعتمونى بكونكم تسعة .

زوَى الرجل ما بين حاجبيه ، وقال ببرود :

— عشرة أفراد أيها المصرى .. هل نسيت رفيقنا الذى أصبته فى الجانب الجنوبى من المدينة ؟

برقت عينا (نور) ، ولكنه لم يعترض على عبارة الرجل ، فلقد كان من الواضح أن هذا الرجل لم يكشف وجود باقى أفراد الفريق بعد ، وأن رفاقه قد كشفوا الغزو ، وتخلصوا من أحد الغزاة أيضًا .. وأحاط (نور) وسط (سلوى) بذراعه ، وضمَّها إليه بحنان ، على حين تقدم أحد الغزاة من الرجل الطويل الأنف ، وأدَّى له التحية العسكرية ، ثم قال :

— هل نقتلهما يا ماجور (هاروت) ؟

تأمَّل (هاروت) (نور) و (سلوى) من خلال عينيه الضيقتين ، ثم قال :

— ليس قبل أن أستجوبهما .. فلا ريب أن لديهما الكثير يخبروننى به .

قال (نور) بسخرية :

— ألم تعلم بعد أننا نصاب بالخرس ، إذا ما تحدَّثنا إلى وغد مثلك ؟

ابتسم (هاروت) ، وقال بشراسة :

— سنرى يا فتى .. سنرى كيف ستتحدَّث بطلاقة ، عندما تصرخ رفيقتك من شدة العذاب .. سنرَى .

اتسعت عينا (سلوى) ذعرًا ، وتعلَّقت بذراع (نور) ، الذى زمَّ شفتيه ، وصرخت ملامحه بالإصرار والعزم ، وفكر لحظتها فى أن الأمل الوحيد يتمثل فى رفاقه والدكتور (حجازى) .

* * *

٧ ـ الخيط الضعيف ..

ضغط الدكتور (حجازى) على مقلتيه ، محاولاً طرد التعب والإرهاق من جفنيه ، ثم عاد يتطلّع إلى حيث رقد (محمود) و (رمزى) ، وتوجَّه إليهما ليطمئن على نبضيهما وحالتهما الصحية ، قبل أن يعود ليجلس على المقعد الصغير المواجه لشاشة الميكروسكوب الأيونى ، ويضغط مرة أخرى على زرّ التسجيل بالجهاز ، وتركّزت عيناه على الخلايا المرتسمة فوق الشاشة ، ثم قال محدِّثًا جهاز التسجيل :

ــ خلايا المخ سليمة لا تشوبها أية شائبة ، تمامًا مثل خلايا المعدة والأمعاء والكبد والكلى التى تم فحصها مسبقًا .. لا توجد أية آثار للالتهابات الفيروسية ، أو حتى لوجود الفيروسات فى الخلايا العصبية .

ثم عاد يغلق عينيه بقوة ، ويهزّ رأسه ، محاولاً طرد



النعاس الذى يزحف إليه ، وعاد يقول :

ـ وكما سبق أن قلنا ، فالتحاليل التى أجريت على محتويات المعدة والأمعاء والدم والنخاع ، أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك ، خلو الجسم من أى نوع من أنواع السموم المعروفة وغير المعروفة ، باستثناء مادة (الديجيتالين) التى كان يتعاطاها القتيل كعلاج لهبوط القلب الذى يعانيه منذ سنوات .

سمع فى تلك اللحظة صوت تأوّهات خافتة انبعثت من حنجرة (محمود) ، فأسرع نحوه ، وتفرّس فى ملامحه لحظة ، ثم قال بهدوء :

ـ استرخ يا فتى .. لا تقاوم النعاس الذى يعبث بجفنيك .. لقد كان من المفروض أن تتناول بعض الأدوية المعوِّضة لما فقدته من دماء ، ولكننا سنعوضها بالراحة والاسترخاء .

فتح (محمود) جفنيه بصعوبة ، وقال بضعف :

ـ لا بد أن نحاول البحث عن (نـور) و (سلوى) يا سيِّدى .. إننى أخشى أن يعثر عليهما هؤلاء الغزاة .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ لن أسمح لك بالحركة يا فتى .. إن ذلك قد يؤدى إلى فتح جرحك من جديد .

وفجأة اتسعت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يحدِّق بذهول فى الجزء الممزق من رداء (محمود) الواق ، حيث اخترقته أشعة الليزر ، ثم أمسك ذراع هذا الأخير بقوة آلمته وهو يصيح :

ـ ربَّاه !! كيف لم أتنبَّه إلى ذلك ؟

سأله (محمود) بألم ولهفة :

ـ ماذا ؟.. ماذا وجدت يا دكتور (حجازى) ؟

ضرب الدكتور (حجازى) كفه فى راحته بقوة ، وهو يصيح :

ـ يا إلهى !! لو أننى تنبَّهت إلى هذه النقطة منذ البداية ، لوفرت الكثير من الوقت .

ثم صاح بانفعال ، وهو يشير إلى الجزء الممزق من رداء (محمود) :

ــ إن هذا الثقب الصغير من ردائك ، ينفى تمامًا احتمال كون هذا الوباء فيروسى أو ميكروبيولوجى ، بأى حال من الأحوال يا (محمود) .

وقفز بمرح كالأطفال ، وهو يستطرد قائلاً :

ــ لو أن هذا الوباء ينشأ عن طريق انتشار نوع ما من الڤيروسات أو الكائنات الأخرى الدقيقة ، لكان هذا الثقب فى ردائك كافيًا لإصابتك بالوباء يا (محمود) نظرًا للسرعة التى رأينا بها انتشار الوباء ، وإصابته للطيار وللغازى الذى هاجمنا فى الخارج .. ولما كان هذا لم يحدث ، فذلك يعنى أن (الوباء الجهنمى) ليس عضوىَّ المصدر ، فهو ليس فيروسًا ولا سمًّا .

هزَّ (محمود) كتفيه ، وهو يقول بتساؤل :

ــ إن استنتاجك هذا لم يحل الأمر ، بقدر ما زاده تعقيدًا يا سيِّدى ، فإذا لم يكن مصدر هذا الوباء فيروسًا

أو سمًّا فماذا يكون إذن ؟.. نوعًا من الغازات التى تسبِّب الجنون ، مثل غاز النيتروز مثلاً ، الذى يسمى بالغاز المضحك ؟

حرَّك الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا،وقال ببطء:

ــ إنه ليس غازًا ، وإلا أمكننى كشف ذلك عن طريق تشريح الرئة ، أو تحليل أنسجتها .. دَعْنا نفكِّر فى حلِّ بديل .

قال (محمود) فى حيرة :

ــ أى حلِّ بديل ؟ إن معلوماتى فى هذه المجالات الطبية قاصرة للغاية .

زوَى الدكتور (حجازى) مابين حاجبيه وهو يقول:

ــ لا بد أن نحاول يا (محمود) .. لا بد أن نتوصَّل إلى طبيعة وباء الخوف هذا ، وأن نبلِّغ المسئولين بحدوث هذا الغزو ، وإلا فقدنا سيادتنا على أرض مصر .. فقدناها للأبد .

* * *

داخل حجرة مدير الشرطة (بمرسى مطروح) ، وقف (هاروت) عاقدًا كفَّيه أمام (نور) و (سلوى) ، وأخذ يحك ذقنه براحته فترة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ إذن فأنتما مصرَّان على الصمت .. أنتما عنيدان للغاية أيها الشاب وأيتها الفتاة .. ألا تعلمان أنه لم يعد هناك أمل ؟.. إن سلاحنا السرِّى الجديد كفيل بتحطيم مقاومة شعبكم تمامًا ، ولن ينجح علماؤكم فى تحديد كنهه مطلقًا .. إن هذه هى نهاية الصراع بين دولتينا .

قال (نور) بسخرية :

ـ ألم تلاحظ أنكم لم تضعوا فى اعتباركم المقاومة العلمية ؟. ألم تضعوا مجرَّد احتمال لأن ينجح علماؤنا فى كشف طبيعة هذا (الوباء الجهنمى) ، وينجحوا فى مقاومته قبل أن تغزوا بلادنا .

قهقه (هاروت) ضاحكًا ، وقال :

ـ من المستحيل أن يتمكَّن علماؤكم من كشف

طبيعة وباء الخوف أيها المصرى ، فلقد أعد علماؤنا الأمر بدقَّة بالغة ، بحيث يخدعكم تسلسل وانتشار الوباء .. أراهنك أن علماءكم يفنون أعمارهم فى الفحص الميكروبيولوجى الآن .

زوَى (نور) ما بين عينيه ، واستغرق فى تفكير عميق ، على حين استطرد (هاروت) :

ـ بالإضافة إلى أن حالة الخوف التى تنتاب من يصاب بالوباء ، تمنعه دائمًا من ملاحظة الأمور التى قد تقوده إلى الحل الصحيح .. إنها خطة محكمة لا تقبل الفشل يا فتى .

ازدادت (سلوى) التصاقًا بزوجها ، وهى تتطلَّع بخوف وقلق نحو الغزاة ، ورفعت وجهها نحو وجه (نور) ، لعلها تجد فى ملامحه ما يبعث الدفء فى نفسها الحائرة ، وأطرافها الباردة .. وما أن وقعت عيناها على عينيه حتى ارتجف جسدها بأكمله ، وكادت صيحة فرح تفلت من بين شفتيها ، فلقد كانت عينا

(نور) تبرقان ببريق تألفه هى جيّدًا .. بَريق يؤكد أن الرائد (نور) قد توصَّل إلى حل لغز (الوباء الجهنمى) .

* * *

٨ ـــ مفاجأة الغزاة ..

عقد (نور) ذراعيه أمام صدره ، وتراقصت على أطراف شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو ينظر إلى (هاروت) بتحدٍّ قائلاً :

ــ خفِّف من غرورك أيها المتكبِّر .. ألم يخطر ببالك أننا قد توصَّلنا إلى الحل فعلاً ؟

ضحك (هاروت) بسخرية ، وقال :

ــ مُحَال أيها المصرىّ .. إن الخطة التى وضعها علماؤنا لا تقبل الفشل .

ضحك (نور) بسخرية مماثلة ، وقال :

ــ لا تكن واثقًا إلى هذا الحدّ أيها الوغد .. ما رأيك لو أخبرتك أننا نعلم خطتكم بالتفصيل ، وأن الخطوات تتَّخذ فى هذه اللحظة ، لمواجهة غزوكم المزعوم .

ظهر الشك على ملامح (هاروت) ، وأخذ يحك ذقنه بعصبية ، وهو يقول :

ـ إنك تحاول كسب الوقت أيها المصرى .. إنك تحاول خداعنا .

برقت عينا (نور) ، وهو يقول بتهكُّم :

ـ هكذا !!.. ما رأيك إذن لو علمت أن الأوامر التى تلقيناها ، تقضى بضرورة تحطيم الجهاز الذى يرسل إلينا بموجات الخوف ، والذى يستقر على سطح إحدى سفنكم خارج مياهنا الإقليمية .

اتسعت عينا (هاروت) ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، وهو يشيح بذراعيه صائحًا :

ـ مستحيل !! مستحيل أن تكونوا قد توصّلتم إلى حل لغز خطتنا بهذه البساطة .

اقترب منه (نور) بتحدٍّ قائلاً :

ـ بل المستحيل هو أن نسمح لكم بغزونا هكذا ، دونما مقاومة أيها الوغد .

سحب (هاروت) مسدسه ، وصوَّبه نحو (نور) ، وهو يصرخ بشراسة :

ـ ربما تكون خطتنا قد فشلت ، ولكنك لن تخرج من هنا حيًّا أيها المصرى .. لن يخرج أىٌّ منكما حيًا إلاّ فوق جثتى .

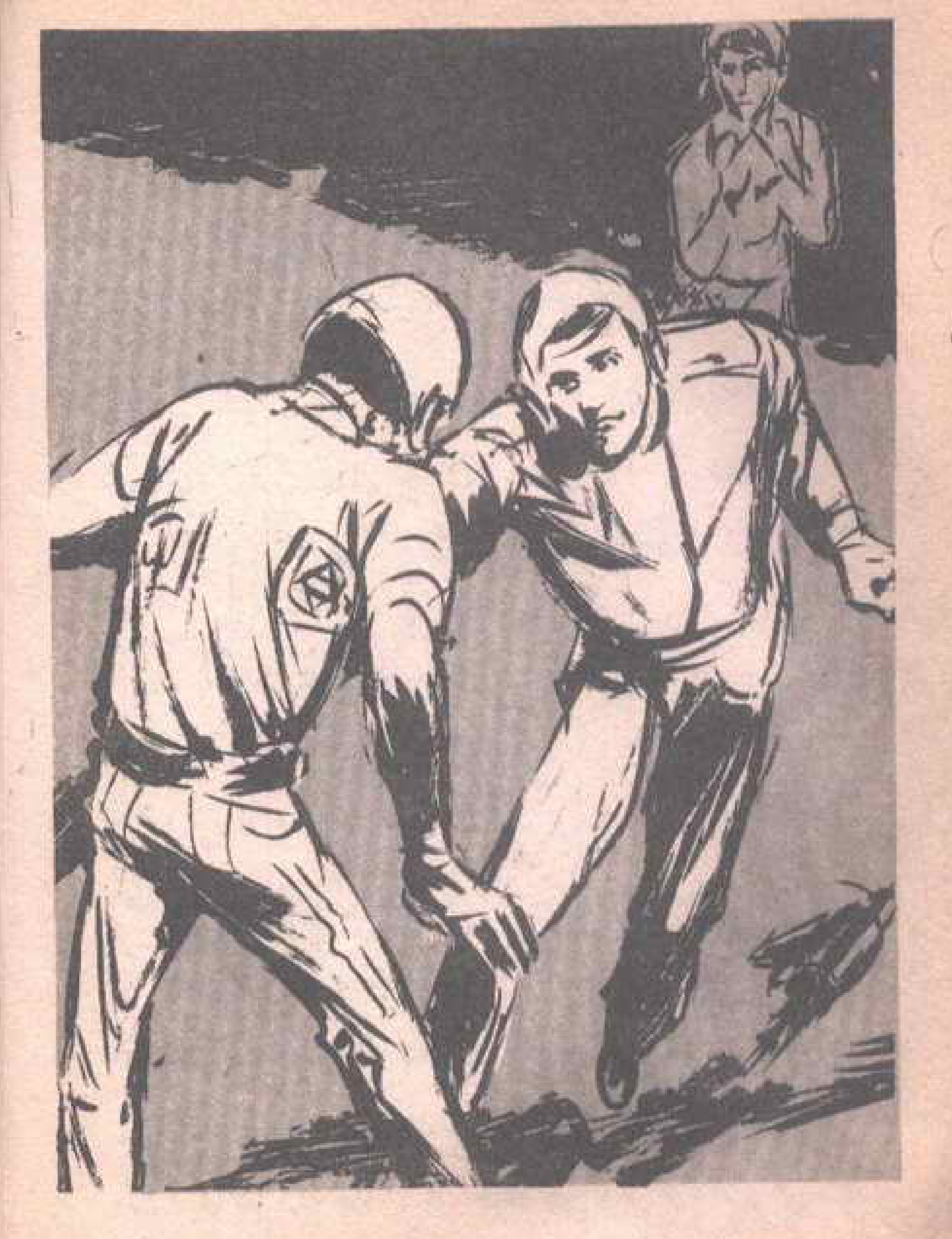
* * *

تحرَّك (نور) بسرعة ، وقد تضاعفت قوته بفعل خوفه ، أن تصاب (سلوى) بأذى ، فركل المسدس الذى يمسك به (هاروت) ، وأطاح به بعيدًا ، ثم قفز نحوه ، ولكمه لكمتين متعاقبتين فى معدته ، سقط على أثرهما أرضًا ، وقفز نحو المسدس ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الرجال الثلاثة الآخرون مسدساتهم نحوه ..

صرخت (سلوى) ، وقد ظنت لحظة أن أشعة المسدسات الثلاثة ستخترق جسد زوجها ، ولكن أحدًا لا يمكنه الجزم بما حدث .. قد يكون خوف (نور) الشديد على زوجته ، أو خوفه من وقوع وطنه فريسة فى

أيدى أعدائه أو كليهما معًا .. المهم أن (نور) قفز قفزة يعدها علماء وظائف الأعضاء من المستحيلات بالنسبة لقدرات الجسد البشرى ، فتفادى الطلقات الثلاث التى أصابت جهاز التليفيديو ، وجهاز الاتصال الخاص ، وشاشة الرصد بمركز الشرطة ، وهبط على قدميه وسط الرجال الثلاثة الذين تملّكهم الذهول ...

وبرغم كراهية (نور) الشديدة للتدمير ، وبرغم حالة الانهيار العصبى التى أصابته من قبل ، عندما لجأ إلى العنف ، إلا أن رغبته العارمة فى إنقاذ وطنه من الغزاة ، تغلّبت على كل المشاعر الأخرى ، فتحرّكت قبضته بسرعة البرق لتحطّم خوذة أقرب الرجال إليه ، وتهوى على فكّه محطّمة إيّاه ، ثم تفادى لكمة وجّهها إليه الرجل الثانى ، وحطّم عنقه بلكمة ساحقة من حافة يده ، ثم غاص بقبضته الأخرى فى معدة الرجل الثالث ، وأعقب ذلك بلكمة قوية حطّمت خوذة الرجل الثالث وأنفه ، وأطاحت به بعيدًا ..



ثم قفز نحوه ، ولكمه لكمتين فى معدته ..

صاحت (سلوى) بذهول :

ــ يا إلهى !! كيف فعلت ذلك ؟

لم يهتم (نور) بإجابة سؤالها ، وإنما قفز نحو جهاز التليڤيديو ، محاولاً تشغيله ، ولكنه لم يلبث أن أمسك بمعصم زوجته صائحًا :

ــ أسرعى يا (سلوى) ، لم يعد أمامنا سوى الإسراع بالذهاب إلى أقرب مكان يمكننا منه إبلاغ الإدارة بما توصّلنا إليه .. لا بدّ من مواجهة هذا الغزو بأقصى سرعة ممكنة .

تبعته (سلوى) بدهشة وتعجُّب ، وقفزت خلفه درجات السلم ، وهى تقول لاهثة :

ــ ما الذى توصّلت إليه يا (نور) ؟.. إننى لم أفهم شيئًا !

صاح (نور) وهو يدفعها داخل سيارة صاروخية ، ويقفز أمام أزرار قيادتها :

ــ سأخبرك فى أثناء انطلاقنا .. المهم أن ننجح فى

إبلاغ الإدارة ، وتحذيرها من ذلك الغزو ..

انطلقت بهما السيارة ، يقودها (نور) بسرعة ومهارة إلى خارج المدينة ، ولم تستطع (سلوى) كتم فضولها ، فهتفت بلهفة :

ــ بالله عليك يا(نور)،أخبرنى بما توصّلت إليه .

قال (نور) ، وهو يميل بالسيارة نحو قلب الصحراء اختصارًا للوقت :

ــ لقد قفز الحل إلى ذهنى فجأة فى أثناء حديثى مع ذلك الوغد (هاروت) .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تعقّب بخبث :

ــ كالعادة .

استطرد (نور) ، دون أن يلتفت إلى تعليقها :

ــ لقد تذكّرت فجأة أنه قد أتيحت لنا فرصة لم تتح لغيرنا ، عندما رأينا بعيوننا ما أصاب الطيار عند إصابته بالوباء .. هل تذكرين عبارة (هاروت) عندما قال إن حالة الخوف التى تنتاب من يصاب بـ (الوباء

الجهنمى) ، تمنعه من ملاحظة الأمور التى قد تقوده إلى الحل الصحيح .

أومأتْ (سلوى) برأسها موافقة ، دون أن تنبس بِبنت شفة ، فتابع (نور) قائلاً :

ـ لقد كان هذا جزءًا من الخطة التى وضعها هؤلاء الأوغاد ، ولكن الأردية الواقية التى كنا نرتديها ، حمتنا من الوقوع فريسة لوباء الخوف الجهنمى ، فأصبحت أمامنا الفرصة الكافية لملاحظة كل الأمور ، وبرغم ذلك فاتنا أن ننتبه إلى أهم نقطة فيما أصاب الطيار .

زوت (سلوى) ما بين حاجبيها ، وقالت فى حيرة :

ـ لقد كنت أعتقد أننا قد بحثنا كل التفاصيل .

ابتسم (نور) ، وقال وهو يتفادى تبَّة رملية اعترضت طريق سيارته :

ـ لقد أهملنا نقطة واحدة .. عبارة واحدة .. تصوَّرنا أن الخوف الذى أصاب الطيَّار هو السبب الوحيد الذى دفعه للنطق بها .. لقد أهملنا عبارته عندما

صاح أن جهاز الهبوط قد اختل .. ولقد تذكَّرت فى تلك اللحظة ، أننى قد فشلت أيضًا فى السيطرة على أجهزة الهبوط بالطَّوافة .. فماذا يعنى ذلك ؟

هزَّت (سلوى) كتفيها ، وقالت :

ـ لست أدرى ماذا يعنى ذلك ؟

أجابها (نور) بهدوء :

ـ يعنى ببساطة أن شيئًا ما .. مؤثِّرًا خارجيًا أثَّر على جهاز الهبوط بالطَّوافة ، فى نفس اللحظة التى أصيب فيها الطيار بـ (الوباء الجهنمى) .. ولو أننا أعملنا عقلنا قليلاً ، لأخبرتنا الخلايا الرمادية فى المخ ، أن ذلك المؤثر الخارجى هو نفسه الذى يسبِّب حالة الخوف ، التى نطلق عليها اسم (الوباء الجهنمى) .

اعتدلت (سلوى) فى مقعدها ، وهى تقول باهتمام بالغ :

ـ استمر يا زوجى العبقرى .. لقد بدأت أفهم الأمر برمَّته .

تابع (نور) قائلاً :

ـــ ولما كانت الفيروسات والسموم والغازات وغيرها ، مما يمكن أن يصيب الإنسان ، عديمة التأثير على الآلات الكمبيوترية الحديثة .. فهذا يعنى بما لا يدع مجالاً للشك ، أن سبب هذا (الوباء الجهنمى) مؤثر ، يمكنه أن يصيب الآلات أيضًا .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول بهدوء :

ـــ ترددات كهرومغناطيسية ذات طبيعة خاصة .. أليس كذلك ؟

قال (نور) بهدوء ، وهو يومئ برأسه موافقًا :

ـــ تمامًا يا عزيزتى .. ولكى نفهم هذا الأمر بصورة أوضح ، ينبغى أن نعلم طبيعة الخوف نفسه ، وكيف يسرى فى أجسامنا .

قالت (سلوى) بعصبية وهى تحدق فى جهاز الرصد الخلفى بالسيارة :

ـــ لنؤجل ذلك لما بعد يا (نور) .. فمن الواضح

أن تلك السيارة التى تطاردنا لا تحمل لنا خيرًا على الإطلاق .

نظر (نور) إلى شاشة جهاز الرصد الخلفى ، ثم قطّب حاجبيه وهو يقول :

ـــ إنهما سيارتان يا (سلوى) ، وسيكون علينا أن نتحدّى كل العقبات التى تضعها أمامنا رمال الصحراء ، وإلا كان الفشل نصيبنا .. بل نصيب مصر بأكملها .

وأعقب عبارته بأن ضغط على أزرار السرعة ، لتنطلق سيارته بسرعتها القصوى ، متحدّية مخاطر الصحراء الغربية ، من أجل مصر .

* * *



٩ ــ مطاردة فى الصحراء ..

انطلقت السيارتان بسرعة جنونية ، مثيرتين قدرًا هائلاً من الرمال والغبار ، فى محاولة مستميتة للحاق بسيارة (نور) ، الذى أخذ يتفادى التبّات الرملية ، التى تعترض طريقه بمهارة وصعوبة ، ثم لم يلبث أن تمتم بقلق :

ــ لو استمرت المطاردة على هذا النحو ، فستلحق بنا إحدى السيارتين حتمًا ..

ثم دار بسيارته دورة كاملة وهو يقول بحزم :

ــ سأعود إلى الأسلوب الذى وضعه (نابليون) .. سأعود إلى قاعدة (الهجوم خير وسيلة للدفاع) .

واندفع بأقصى سرعة نحو السيارتين ، مما أثار ذهول قائديهما ، فانحرفتا بصورة حادَّة ، وأفلتت إحداهما التى يقودها (هاروت) من هجوم (نور) المباغت ، على

حين اندفعت الأخرى على الرغم منها نحو بعض الكثبان الرملية ، وحاول قائدها تفادى الموقف ، إلاّ أن سيارته ارتطمت بالكثبان ، واخترقتها من شدة سرعتها ، ثم انقلبت وأخذت تتدحرج بقوة وعنف ، حتى استقرت على بعد أمتار عديدة على ظهرها ، وقد غطتها الرمال ..

أما (هاروت) فقد دار بسيارته مستمرًا فى مطاردة سيارة(نور) ، الذى أخذ يراوغه بمهارة ، ويدور حول الكثبان الرملية ، ثم ينقض على سيارته ويتقهقر .. كان من الواضح أن كليهما خصم لا يستهان به ، وأن مطاردتهما من أبشع المطاردات التى شهدتها رمال الصحراء .

وأخيرًا وبحركة غاية فى الحماقة ، أو غاية فى التهوُّر ، اعترض (هاروت) بسيارته طريق سيارة (نور) ، وحاول هذا الأخير إيقاف سيارته أو الانحراف بها مبتعدًا ، إلا أن سرعة السيارة وطبيعة الأرض التى تنطلق فوقها لم تمكّناه من ذلك ، فارتطمت السيارتان بدوىٍّ

هائل ، وضاعت صرخة الفزع التى انطلقت من حنجرة (سلوى) مع صوت الارتطام ، وقفزت سيارة (نور) فى الهواء ما يقرب من الأمتار العشرين ، قبل أن ترتطم بالأرض ، وتتحطَّم مقدمتها وهى تغوص فى رمال الصحراء ، على حين انقلبت سيارة (هاروت) ، وتحطَّمت فى أثناء دحرجتها فوق الرمال ، قبل أن تستقر السيارتان ..

* * *

حطَّم (نور) زجاج السيارة المجاور له ، وبذل مجهودًا هائلاً ليخرج من خلاله ، ثم أخذ يعمل بسرعة وجزع ، محاولاً إخراج زوجته التى أنقذها حزام الأمان الذى التف حول وسطها .. ولم يزل يبذل المحاولة تلو الأخرى ، حتى أخرجها من السيارة وابتعد بها ، ثم أرقدها على ظهرها ، وأخذ يحاول إنعاشها بكل الوسائل التى خطرت بباله ..

وأخيرًا فتحت (سلوى) عينيها ، وتأوَّهت بمزيج



ولم يزل يبذل المحاولة تلو الأخرى ، حتى أخرجها من السيارة وابتعد بها ، ثم أرقدها على ظهرها ..

من الألم والدهشة ، وقالت بصوت ضعيف :

ـ ماذا حدث يا (نور) ؟.. هل نجونا ؟

أجابها (نور) بصوت حنون ، وهو يمسح الرمال عن شعرها :

ـ تقريبًا يا عزيزتى .. لقد نجونا من المطاردة على الأقل .

فاجأهما صوت (هاروت) من خلفهما غاضبًا مُحْنَقًا ، وهو يقول :

ـ ليس بعدُ أيها المصرى .. إنك لم تنجُ من المطاردة بعد .

استدار (نور) بحدَّة ، وضاقت عيناه وهو ينظر إلى (هاروت) الذى تمزَّق رداؤه الواقى ، وأمسك بيده مسدسًا ليزريًّا قويًّا ، أما (سلوى) فقد غطت وجهها بكفَّيها وهى تقول بصوت باكٍ :

ـ يا إلهى !! ليس بعد كل ذلك .

ولكنها فوجئت بـ (نور) يقول بصوت ساخر :

— لقد تحطّمت خوذة ردائك الواقى .. ألم تلاحظ ذلك يا (هاروت) ؟

صاح (هاروت) بغضب :

— لقد تحطّمت بسببك أيها المصرى ، ولن أسمح لك بتحطيم خطتنا ، كما حطّمت خوذتى .. إن دولتنا ستحقق أهدافها أخيرًا .

قاطعه (نور) ، وهو يقول بسخرية أشدّ :

— ألم تلاحظ أن تحطّم خوذتك دون أن تصاب بالوباء ، يعنى أننا قد أصبحنا خارج مجال موجات جهازكم السخيف .

ضحك (هاروت) وهو يقول :

— لفترة محدودة أيها المصرى .. محدودة جدًّا .. صحيح أن موجات جهازنا محدودة المدى ، ولكن سفينتنا التى تقف خارج حدود مياهكم الإقليمية ، تتحرّك باستمرار فى اتجاه عاصمتكم ، وما هى إلاّ أيام قليلة حتى تسقط دولتكم بأكملها فريسة لوباء الخوف

الجهنمى ، أو للانهيار العضلى الذى يعقبه ..

ثم قهقه ضاحكًا بسخرية ، وهو يردف بشراسة :

— ستغزو قواتنا دولتكم ببساطة لم تحدث فى أبسط النزهات .. سيكون غزونا لدولتكم بمثابة رحلة مسلّية لقواتنا أيها المصرى .. هل تصوّرت أنك قد خدعتنى بقولك إنكم كشفتم خطتنا .. لقد استنتجت ذلك وحدك أيها الشاب ، وهذه عبقرية أهنئك عليها ، ولكنك لن تنجح فى إيصال هذه المعلومات لدولتك .

ضحك (نور) بسخرية ، وهو يقول :

— هناك نقطة أخرى فى موضوع تحطُّم خوذتك لم تنتبه إليها يا (هاروت) .

ازدادت عينا (هاروث) ضيقا ، وهو يقول بقلق وتساؤل :

— أية نقطة أيها المصرى ؟

وفجأة قبض (نور) على حفنة من الرمال ، وألقاها فى عينى (هاروت) وهو يصيح :

ـ لقد أصبح وجهك عاريًا أيها الوغد .

تحرّكت يد (هاروت) نحو وجهه ، وأغلق عينيه اللتين امتلأتا بالرمال ألمًا ، على حين قفز (نور) نحوه ، وضرب مسدسه بقوة ألقته بعيدًا ، ثم غاص بقبضته اليمنى فى معدته ، وأسرع يكيل إلى فكه لكمة قوية هشّمته ، وألقت بـ (هاروت) فوق رمال الصحراء مهشّم الوجه ، فاقد الوعى ..

أسرع (نور) نحو زوجته ، وعاونها على النهوض ، وهو يسمعها تقول بدهشة :

ـ لقد تغيّرت كثيرًا يا (نور) .. إنك تقاتل كالفهد الشرِس .

قال (نور) ببساطة :

ـ إنه حُبّ الوطن يا عزيزتى .. ذلك الحبّ الذى يدفعنا لأن نأتى بأفعال مذهلة .

ثم دار بعينيه يتأمّل السيارات المحطّمة ، وتنهّد بيأس قبل أن يقول :

ـ لا فائدة .. إن هذه السيارات لم تعد صالحة للعمل .

قالت (سلوى) بجزع :

ـ وماذا سنفعل يا (نور) ؟.. كيف يمكننا تحذير الإدارة ؟

رفع (نور) رأسه يتأمّل الشمس المحرقة ، ثم قال بهدوء :

ـ هناك طريقة واحدة ، ولكنها تنطوى على مجازفة خطيرة يا (سلوى) .

ثم أشار نحو قلب الصحراء مستطردًا :

ـ أن نعبر على أقدامنا هذه الصحراء .. إنه الأمل الوحيد ، أو تفقد دولتنا حريتها .

* * *

تعود بنا هذه الأحداث إلى بداية قصتنا ، حيث تركنا (سلوى) فى حالة من الضعف والإرهاق الشديدين ، نائمة تحت ظل صخرة ضخمة ، وبجوارها (نور) يعتمد

وجهه على راحتيه المبسوطتين ، محاولاً أن يبحث بذهنه عن مخرج من هذه الصحراء المترامية الأطراف ، وعن وسيلة لتحذير القيادات العسكرية المصرية ، قبل أن ينتشر الغزو .. وأخذ يقول لنفسه :

ــ الأمل الوحيد أن تكون الأقمار الصناعية التصويرية قد التقطت ما حدث .. التقطت صراع الغزاة معنا ومطاردتهم لنا .. ولكن .. يا لى من غبىّ .. لا بد أن هؤلاء الغزاة قد اتخذوا أهبتهم لمواجهة ذلك .. لا بد أنهم قد وضعوا وسيلة ما للشوشرة على صور الأقمار الصناعية ، حتى يمكنهم الهبوط لغزو المنطقة .

قطع أفكاره صوت (سلوى) وهى تقول بضعف :

ــ ابنتنا يا (نور) .. أخشى ألا نراها مرة أخرى .

وكأنما بعث ذكر ابنته القوة فى أطرافه ، وعاون (سلوى) على النهوض ، وهو يقول بقوة :

ــ ستعيش ابنتنا بيننا يا (سلوى) .. ستعيش فى وطن حرّ .

وعاودا سيرهما وسط رمال الصحراء المحرقة ، وقد أضاء فى قلبيهما الأمل من جديد .

* * *





١٠ ـ عيون الأمل ..

جلس القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، يطالع آخر التقارير الواردة بشأن الوباء ، على شاشة الكمبيوتر الصغير المثبت بمكتبه ، ثم ضغط زرّ جهاز التليڤيديو وسأل باهتمام :

ـ هل تم إصلاح العطب الذى أصاب أقمار التصوير الجوِّى ؟

أجابه الرجل الذى ظهرت صورته على الشاشة :

ـ ليس بعد يا سيِّدى .. إنها أول مرة تصاب فيها هذه الأقمار الصناعية بمثل ذلك العطب .

زوَى القائد الأعلى ما بين عينيه ، وهو يسأل :

ـ ماذا أصابها بالضبط ؟

هزَّ الرجل كتفيه وهو يقول :

ـ لقد ارتطم بها قمر صناعى تابع لدولة أخرى ،

ولقد أسرعت هذه الدولة بالاعتذار ، وعرضت إصلاح العطب على نفقتها ، ولكننا رفضنا بالطبع حتى لا يمكنهم الاطلاع على تركيب أقمارنا ، ولا موجة البث السريَّة ..

تمتم القائد الأعلى بدهشة :

ـ عجبًا !! ولماذا يرتطم بها ذلك القمر فى هذا التوقيت بالذات ؟.. أراهنك أنه قد أصاب الأقمار التى تصوِّر منطقة الوباء بالذات .. أليس كذلك ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح يا سيِّدى .

صمت القائد الأعلى مفكِّرًا فترة طويلة ، ثم قال :

ـ وماذا عن الأقمار التصويرية الأخرى ؟

طالع الرجل بعض التقارير السريعة ، ثم قال :

ـ لقد التقطت الأقمار الأخرى صورة تشبه العواصف الرملية فى الصحراء الغربية ، على بعد ثلثمائة كيلومتر فى مرسى مطروح ، منذ ثلاث ساعات ..

وعندما قمنا بتقريب المشهد تبيَّن لنا أنها مطاردة بين ثلاث سيارات ، ويرجَّح أنها حالة من جنون الخوف و ....

قاطعه القائد الأعلى صائحًا :

ـ مطاردة فى الصحراء ؟.. اعرض هذا المشهد فى الحال .

ظهرت صورة واضحة لمشهد المطاردة فوق شاشة جهاز التليفيديو ، وأخذ القائد الأعلى يتأمَّلها باهتمام ، ثم قال بلهجة آمرة حازمة :

ـ أريد تقريب هذا المشهد ، بحيث يبدو كما لو تم تصويره من مسافة لا تزيد على أربعة أمتار .

وفى الحال بدا المشهد أكثر قربًا ووضوحًا ، واقترب القائد الأعلى من الشاشة ، وفحصها بسرعة .

كان من الواضح أن المشهد يمثل ثلاث سيارات صاروخية ، اندفعت إحداها وسط الأخريين بشكل انتحارىّ ، فتمتم القائد الأعلى بتساؤل :

ــ عجبًا !! هل يمكن أن يكون هو ؟

ثم صاح :

ــ أريد تقريب السيارة الوسطى من مسافة نصف متر فقط .

اقترب المشهد وبدا وجه قائد السيارة واضحًا بصورة لا تقبل الشك ، فصاح القائد الأعلى دهشة :

ــ يا إلهى !! إنه هو .. إنه الرائد (نور) .

ثم هتف بغضب وحنق :

ــ لماذا لم تصلنى هذه الصور فور التقاطها ؟.. سأعاقب المسئول عن ذلك .. سأعاقبه بقسوة .

وضغط زرًا آخر إلى يساره ، وقال :

ــ أريد تصوير الصحراء الغربية بأكملها ، وإرسال طوّافة ذرّية لالتقاط أى بشر تجدهم فى غير الواحات .. وفى الحال .

ثم قطع الاتصال ، وهو يقول بصوت خافت يفيض بالقلق :

ــ لو صحّ ما أتوقعه ، فسيكون الرائد (نور) فى هذه اللحظة فى أشد الحاجة لمن يلتقطه من وسط لهيب الصحراء .

* * *

انهار الدكتور (حجازى) على أقرب مقعد إليه ، وأسند رأسه إلى الوراء ، وأغمض عينيه بإرهاق شديد ، وبذل (محمود) مجهودًا مضاعفًا لينهض من مقعده ، ويقترب منه قائلاً :

ــ إنك بحاجة إلى الراحة يا سيّدى .. إنك تعمل بلا توقُّف منذ خمس ساعات .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال بصوت واهن ضعيف :

ــ لا بدّ أن أواصل العمل يا (محمود) .. لا بد لى من فحص كل خلية من خلايا هذا المسكين ، الذى سقط ضحية (الوباء الجهنمى) .. لا بد .

نظر إليه (محمود) بإشفاق ، وقال :

ـ يمكنك أن تواصل عملك بعد فترة قصيرة من الراحة .

ابتسم الدكتور (حجازى) بضعف ، وقال وهو يشير إلى (رمزى) :

ـ كيف حال طبيبكم النفسى الآن ؟

قال (محمود) :

ـ إنه يبدو فى خير حال .. صحيح أننى لا أفقه شيئًا فى الأساليب الطبية العلاجية ، ولكننى ألاحظ أن وجهه قد عاد إليه تورُّده ، وأن تنفُّسه منتظم قوى .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال وهو ينهض لمواصلة عمله :

ـ هذا يكفى يا (محمود) .. أعتقد أن (رمزى) سيتماثل للشفاء بسرعة .

ولمَّا لم يتلق جوابًا على عبارته ، عاد يقول :

ـ ألم تسمعنى يا (محمود) !.. أقول إن (رمزى) سيُعافى .

جاءه صوت (محمود) خافتًا قلقًا ، وهو يقول :

ـ لقد سمعتك يا دكتور (حجازى) ، ولكن هناك ما أثار انتباهى وشغلنى عن إجابتك .

استدار إليه الدكتور (حجازى) ، فوجده يقف أمام النافذة الزجاجية محدِّقًا فى الطريق ، وقد اكتست ملامحه بالجمود ، فسأله بقلق :

ـ ماذا يحدث عندك يا (محمود) ؟.. ما الذى يثير قلقك ؟

أجاب (محمود) بصوت أرعشته رعدة مقلقة :

ـ إن القلق ليس هو التعبير المناسب يا سيِّدى .. إن ما أصابنى هو الرعب ، فأمام عينى مباشرة يقتحم المدينة جيش كامل من هؤلاء الغزاة ، فى أرديتهم الواقية .

* * *

١١ – الإنقــاذ ..

تخاذل ساقا (سلوى) ، وسقطت على ركبتيها وسط الرمال ، وهى تقول بصوت ضعيف لا يكاد يسمع :

– لا فائدة يا (نور) .. لم أعد قادرة على أن أخطو خطوة واحدة .

خرج صوته ضعيفًا وهو يقول :

– لا بد أن نحاول يا عزيزتى .. مستقبل وطننا بأكمله يتوقّف على مقاومتنا .

تهالكت فوق الرمال ، وهى تقول بيأس واستسلام :

– لا فائدة يا (نور) لقد استنفدت كل إرادتى وقوتى .

شعر (نور) بالحزن والأسى يعتصران قلبه ، وأخذ يتلفت حوله بعصبية ، فى محاولة يائسة للعثور على خيط للنجاة بلا فائدة .

وفجأة أرهف سمعه ، وضغط على معصم (سلوى) وهو يصيح :

– اسمعى يا (سلوى) .. أخشى أن يكون ذلك مجرد وهم .. ألا تسمعين صوت طوّافة مروحيّة تقترب ؟

رفعت ذراعها بضعف ، ثم لم يلبث أن سقط بجوارها ، وهى تقول :

– إننى لا أسمع شيئًا يا (نور) .. لقد امتلأت أذنى بالرمال .

صاح بأمل :

– ولكننى أسمع ذلك الصوت جيّدًا ، ولا يمكننى أن أخطئه .. إنها إحدى طوّافاتنا .

وما أن أتم عبارته حتى ظهرت الطّوافة المصرية من خلف جبال الرمل فى الأفق ، واقتربت بحركة دائرية من البقعة التى يقف فوقها (نور) ، وترقد (سلوى) ..

أسرع (نور) يلوّح بذراعيه ، ويهتف بسعادة غامرة .. ودارت الطّوافة فوقه ، ثم أخذت تهبط حيث



وما أن أتم عبارته حتى ظهرت الطُّوافة المصرية من خلف جبال الرمل فى الأفق ..

يقف .. ولم يشعر (نور) بسعادة فى حياته ، بقدر ما شعر عندما وقعت عيناه على العلم المرتسم على سطح الطُّوافة .. علم جمهورية مصر العربية .

* * *

ارتفع أزيز جهاز التليڤيديو فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فأسرع يضغط زرّ الاتصال .. وفى الحال ارتسمت على شاشة الجهاز صورة الرائد (نور) ، فتهلّلت أسارير القائد الأعلى ، وهتف بسعادة :

— حمدًا لله على نجاتك أيها الرائد .. ماذا حدث لفريقك فى (مرسى مطروح) ؟

ألقى (نور) نظرة على (سلوى) ، المستغرقة فى النوم بجواره داخل الطوافة ، ثم قال :

— إن (سلوى) هنا بجوارى يا سيّدى ، أما باق الفريق والدكتور (حجازى) ، فلست أدرى ماذا أصابهم حتى هذه اللحظة !

ثم اكتست ملامحه بالجدّية والاهتمام البالغين ، وهو يقول لقائده :

ــ استمع إلىّ جيّدًا يا سيّدى .. فلقد أوقعتنا هذه المهمة على معلومات ، تقاس خطورتها بأمن دولتنا وحريتنا .

أخذ (نور) يقصّ على قائده ما توصّل إليه ، حتى انتهى من سرد كل ما لديه ، فسأله قائده بدهشة :

ــ وكيف تصنع التردُّدات الكهرومغناطيسية حالة الخوف هذه ؟

أجاب (نور) بهدوء :

ــ الخوف نفسه عبارة عن نوع من التردُّدات الكهربية التى تسرى فى الأعصاب ، سواء الأعصاب السمبثاوية أو ما فوق السمبثاوية ، فتصنع فى الجسم مجموعة من التغيُّرات ، مثل ارتفاع نبضات القلب ، وزيادة إفراز الأدرينالين ، وانتصاب الشعيرات الصغيرة وغيرها .

قال القائد الأعلى بتساؤل :

ــ ولكن هذا يحدث داخل الجسم البشرى فقط يا (نور) .

ابتسم (نور) ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح يا سيّدى ، ولكن ماذا لو أننا أطلقنا نحو الجسم تردُّدات موجية كهرومغناطيسية لها نفس قوة التردُّدات التى يصنعها الخوف ؟.. بمجرد أن تلامس هذه التردُّدات سطح الجلد عند الإنسان ، ستصنع بداخله نفس التغيُّرات التى يحدثها الخوف عن طريق استثارة الأعصاب السمبثاوية ، فيرتفع النبض ، ويفرز الأدرينالين من الغدة فوق الكلوية .. وهكذا يصبح الإنسان فريسة لخوف مبهم ، لا يخضع إلى أية قواعد .. مجرد شعور بالخوف دونما مصدر للخوف ، وهنا ينشط العقل الباطن فيجسم المخاوف التى تكمن به ، لتظهر أمام المصاب بوباء الخوف الجهنمى ، وكأنها حقيقة .. ولهذا ظنّت عاملة مصنع الأدوية أن الآلة

ستلتهمها ؛ لأن هذا ما يفزعها طيلة عملها ؛ ولهذا أيضًا سقط أحد الغزاة على ركبتيه يتوسّل إلىّ لأقتله ، عندما حطّمت خوذته ، وعرضت جلد وجهه للموجات .. موجات الخوف .. فبحكم خروجه فى مهمة حربية ، فإنه يخشى الموت دائمًا على أيدى أعدائه .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

ــ أنت عبقرى أيها الرائد .. لقد توصّلت بقدرتك على الاستنتاج ، إلى ما عجز علماؤنا بآلاتهم المعقّدة عن التوصّل إليه .

ثم قطّب حاجبيه قائلاً :

ــ والآن علينا أن نعدّ الخطة لدحر الغزاة .

تنحنح (نور) ، وقال :

ــ لو يسمح لى سيّدى ، فأعتقد أن لدىّ خطة معقولة .

أشار القائد الأعلى ، قائلاً باهتمام :

ــ هات ما عندك أيها الرائد .

مال (نور) إلى الأمام ، قائلاً :

ــ إن الغزاة حتى هذه اللحظة ، لا يتصوّرون أن أمر خطتهم قد انكشف ؛ ولذلك فسيكون علينا أن نستغل جهلهم هذا ..

وبهدوء شرح (نور) خطته بأكملها للقائد الأعلى ، الذى استمع إليها صامتًا ، وإن نمّت ابتسامته عن الإعجاب الشديد .. وما أن انتهى (نور) من الشرح حتى ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ــ هذه عبقرية جديدة تضاف إلى عبقرياتك أيها الرائد .. إنك قائد حربى ممتاز .. سننفذ خطتك على بركة الله .

* * *

وقف الدكتور (حجازى) بجوار (محمود) ، يتطلّعان بيأس إلى قوات الغزاة ، وهى تنتشر فى أنحاء المدينة ، وتمتم (محمود) بحنق :

ــ اللعنة !! إنهم يتحرّكون بثقة ، وكأنهم فى نزهة .

التقى حاجبا الدكتور (حجازى)، وهو يقول بغيظ:

— ما رأيك لو عكّرنا نزهتهم هذه يا فتى ؟

نظر إليه (محمود) بأمل ، وهتف :

— ما الذى يمكننا فعله يا سيّدى ؟

اقترب الدكتور (حجازى) من الميكروسكوب الأيونى ، وقال :

— أنت تعلم بالطبع أن الميكروسكوب الأيونى ، يعتمد على نظرية إطلاق الشعاع الأيونى ، وهذا يحتاج إلى معجل ذرّى ميكروسكوبى .

اتسعت عينا (محمود) ، وهو يقول بتردُّد :

— أخشى أن أكون قد أخطأت الفهم .. هل تعنى أنك ستحوّل الميكروسكوب الأيونى إلى .....

قاطعه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول بهدوء :

— نعم أيها الشاب ، سنحوّل هذا الميكروسكوب إلى قنبلة ذرّية .

* * *

ظل (محمود) صامتًا فترة ، وعقله يحاول استيعاب ما طلبه الدكتور (حجازى) ، وأخيرًا قال :

— ستدمّر هذه القنبلة الذرّية (مرسى مطروح) بأكملها .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه ، وهو يقول بهدوء :

— إنها نتيجة حتميَّة أيها الشاب .

عاد (محمود) يقول :

— دَعْكَ من أنها ستقضى على كلينا وعلى (رمزى) .. المهم أنها ستقضى على كل هؤلاء المساكين المبعثرين فى الطرقات ، ضحايا الانهيار العضلى و (الوباء الجهنمى) .

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وقال :

— أضف إلى ذلك أنها ستدمّر طلائع الغزاة ، وستنذر القيادات العليا بوجود خطر ما يهدد المنطقة .. لقد حسبت كل ذلك يا (محمود) ، ووجدت أن

تفجير هذه القنبلة هو الصواب بعينه .

صمت (محمود) لحظة مفكرًا ، ثم مدَّ يده يصافح الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـــ أنت على حقَ يا سيِّدى ، إن حياتنا لا تساوى شيئًا أمام حرية الوطن ورفعته .. سنصنع هذه القنبلة الذرِّية ، وسندمِّر الغزاة عن آخرهم .

* * *



١٢ ـــ رايات النصر ..

انهمك الدكتور (حجازى) و (محمود) فى عملهما ، الذى استغرق ربع ساعة تقريبًا ، ثم رفع (محمود) رأسه يتأمَّل العمل ، وقال :

ـــ إنها جاهزة تقريبًا يا سيِّدى .. بقى أن نوصِّلها بمصدر للطاقة .

قال الدكتور (حجازى) بحماس :

ـــ إنها ليست مجرد قنبلة ذرِّية يا عزيزى (محمود) .. إنها راية النصر على الغزاة .

وفجأة سمع كلاهما صوتا أجش ، يقول بسخرية :

ـــ إلى هذا الحدّ ؟

التفتا بحدَّة ، وتسمَّرت أطرافهما ، عندما وجدا أمامهما ثلاثة من الغزاة ، يصوِّبون إليهم بنادق الليزر الفتاكة ، وسمعا أكبرهم رتبة يقول :

— أنتما مصريَّان .. هذا واضح من الشعار الذى يزيِّن رداءيكما الواقيين .. ماذا تصنعان ؟

واقترب من القنبلة يفحصها ، ولم يلبث أن قهقه ضاحكًا ، وهو يقول :

— يا للشيطان !! قنبلة ذرِّية ؟.. هل كنتما تنويان محونا ؟.. ومحو نفسيكما أيضًا ؟

قال الدكتور (حجازى) بحنق :

— هذا أفضل من غزوكم لنا .

ظهر الغضب على وجه الغازى ، وهو يتجهَّم قائلاً :

— ما هى معلوماتكما عن هذا الغزو أيها المصريون ؟

ابتسم كلاهما بسخرية دون أن ينطقا بكلمة ، فصاح الغازى بغضب :

— لن يفيدكما التظاهر بالشجاعة .. سأمزِّقكما إربًا لو لم تتحدَّثا .

وفجأة ارتج المكان بأكمله ، مع صوت فرقعة قوية

سرت فى الهواء ، أعقبها صوت أجسام شتى تشق الجوَّ ، فصاح الدكتور (حجازى) متهلِّلاً :

— ها هو ذا جواب سؤالك أيها الوغد .. ها هى ذى المقاتلات المصرية تحطِّم غزوكم قبل أن يبدأ .

* * *

اختفى قرص الشمس وراء الأعداد الهائلة من المقاتلات المصرية ، التى ملأت السماء ، ملقية الرعب فى قلب الغزاة ، الذين ارتجفت أطرافهم فرقًا ..

وبناء على خطة (نور) انفصلت عشر مقاتلات عن السِّرب ، وانقضت بلا رحمة على السفينة الصغيرة البريئة المظهر ، التى تحمل علم تلك الدولة المعادية ، وتخفى فى باطنها أبشع أجهزة الحروب .. ذلك الجهاز الذى يطلق (الوباء الجهنمى) ..

وهنا برزت أنياب الثعلب الذى يتظاهر بأنه قطٌّ أليف ، وانطلقت أشعة الليزر القتالية من فوهات المدافع ، التى تم إخفاؤها بمهارة على سطح السفينة ، فى

محاولة للدفاع عن الجهاز الجهنمى ، ولكن المقاتلات تباعدت على شكل زهرة اللوتس ، ثم عادت تنضم بشكل يشبه السهم ، وانطلقت منها أشعة الليزر فى خطوط مستقيمة متوازية ، لتنهمر على سطح السفينة ، ثم تنطلق المقاتلات متفرِّقة ، وتهجم مرة ثانية على شكل قوس غير كامل ، وتنصبُّ أشعة مدافعها على المفاعل النووى بالسفينة ، ثم تبتعد بسرعتها الفائقة البالغة ستة أضعاف سرعة الصوت ، قبل أن تنفجر السفينة ، وتتناثر أشلاؤها فى أنحاء البحر .

امتقعت وجوه الغزاة ، عندما تحطَّمت السفينة التى تحمل الجهاز ، الذى يعتمدون عليه فى نجاح غزوهم ، وحاصرتهم المقاتلات المصرية ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها رجال المشاة مدينة (مرسى مطروح) ، ليحيطوا بالغزاة إحاطة السوار بالمعصم ..

مدَّ الدكتور (حجازى) يده نحو الغزاة الثلاثة الذين يقفون أمامه ، وقال بهدوء ، وقد ارتسمت فوق شفتيه ابتسامة نصر وثقة :

— سلاحكم أيها السادة .. إننى أوافق على استسلامكم لى .

ألقى اثنان من الغزاة أسلحتهم ، أما الثالث فتجهَّم وجهه ، وصاح بحنق وغضب :

— لا أيها المصرى .. إننى لا أوافق على الاستسلام .. سأقتلكما قبل أن أسقط فى أيدى رجالكم .

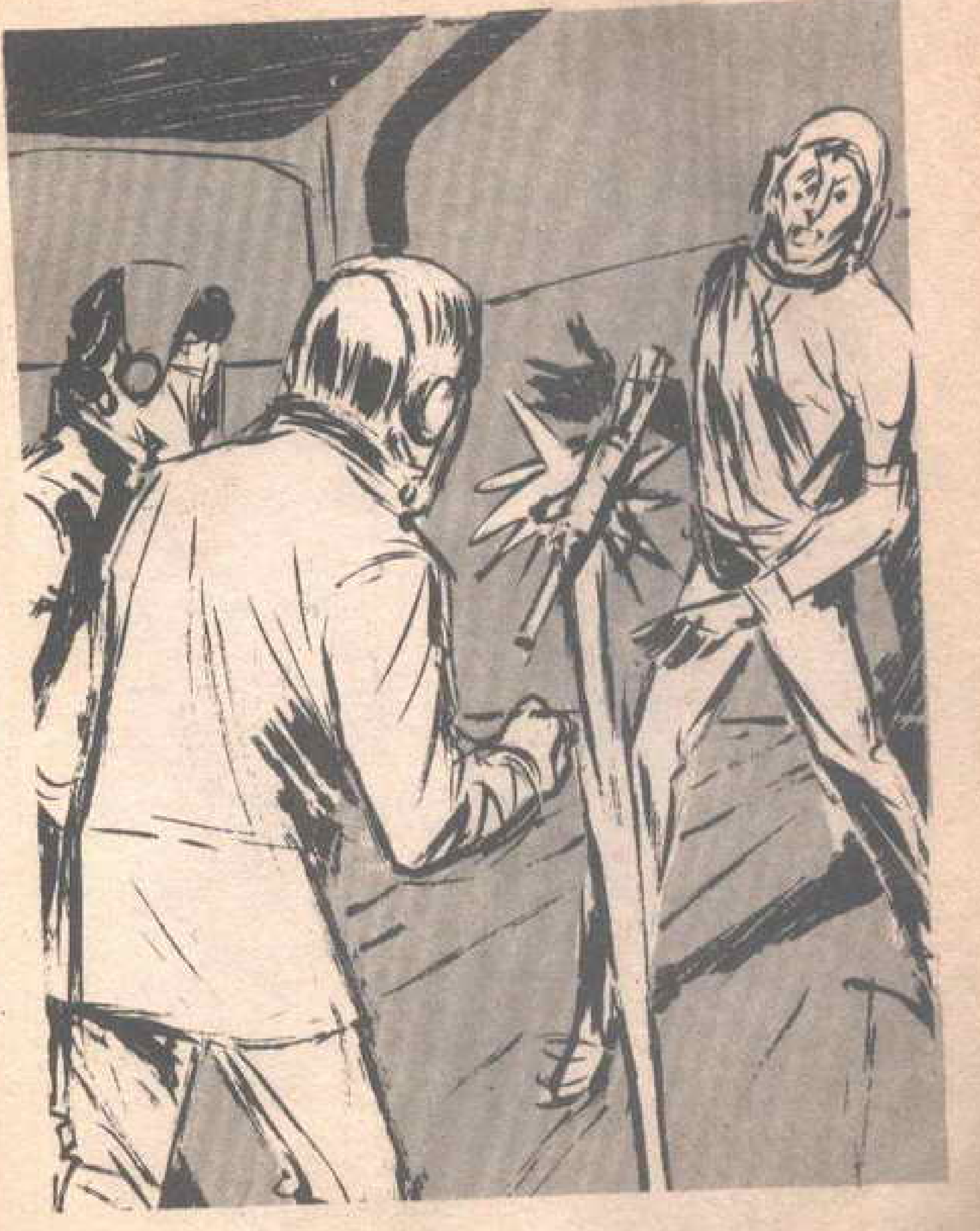
ثم صوَّب بندقيته إليهما ، وهو يصيح بجنون :

— سأمزِّقكما إربًا .. سأنتقم لهزيمتنا .

اتسعت عيون الدكتور (حجازى) و (محمود) ذعرًا ، وتحرَّكت أصابع الغازى بعصبية نحو أزرار الإطلاق ببندقيته ، فى نفس اللحظة التى مرق فيها شعاع من الليزر عبر الغرفة ، وأصاب البندقية التى يحملها الغازى ، فأذابها عن آخرها .

* * *

رفع الغازى ذراعيه فوق رأسه بذعر ، وهو يصيح :



فى نفس اللحظة التى مرق فيها شعاع من الليزر عبر الغرفة ، وأصاب البندقية التى يحملها الغازى ..

ـ لا تطلق أشعتك مرة أخرى .. إننى أستسلم أيها المصرى .. أرجوك .

أمّا الدكتور (حجازى) و (محمود) ، فقد هتفا بصوت عبَّر عما يجيش بنفسيهما من سعادة غامرة :

ـ يا إلهى !! (نور) !.. ما أروعه من لقاء !!

أشار (نور) إلى الغزاة الثلاثة ، أن يسلموا أنفسهم للقوات المصرية ، التى تقف خارج معمل الطب الشرعى ، ثم ابتسم وهو يصافح رفاقه قائلاً :

ـ لقد أصاب استنتاجى هذه المرة .. كان من الطبيعى أن أجدكم فى معمل الطب الشرعى ، ما دام الدكتور (حجازى) بصحبتكم .

ثم التفت إلى (رمزى) الذى يرقد فوق منضدة الفحص ، وصاح بجزع :

ـ ربّاه !! ماذا أصاب (رمزى) ؟

ربَّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، وهو يقول بانفعال :

— سينجو يا (نور) .. سننجو جميعا ما دام وطننا قد نجا من هؤلاء الغزاة .

ثم أشار إلى الطريق عبر النافذة الزجاجية ، واستطرد بنفس الانفعال :

— يا لسعادتى !! لقد تغلّبنا على (الوباء الجهنمى) .. حطَمنا وباء الخوف الزائف .. وها هى ذى رايات النصر ترفرف مرة أخرى على أرض الوطن .

* * *



١٣ — الختام ..

لوَّح (محمود) بذراعيه إلى (نور) و (سلوى) ، وتقدم نحو (رمزى) ، وصافحه مبتسمًا وهو يقول :

— حمدًا لله على شفائك يا طبيبنا النفسى .

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

— شكرًا يا (محمود) ، كيف حال ذراعك ؟

ضحكت (سلوى) ، وقالت :

— لا ريب أنها قد شفيت تمامًا ، ألم تره يلوِّح بها منذ لحظات ؟

ابتسم (رمزى) ، وقال :

— هل تتصوَّرون أننى أشعرَ بالأسف لإصابتى ؟.. لقد أخرجتنى من المعركة تمامًا .

نظرت (سلوى) إلى (نور) ، وابتسم كلاهما قبل أن تحتضن طفلتها قائلة :

ـ هذا من حسن حظك يا (رمزى) ، فبرغم الأردية الواقية التى كنا نرتديها ، شعرت برعب لم أشعر بمثله من قبل .

تدخَّل الدكتور (حجازى) قائلاً :

ـ لقد كانت هذه المغامرة عجيبة جدًّا أيها الشبَّان .. إنها المرة الأولى التى يستخدم الخوف فيها كسلاح رئيسى .

رفع (نور) سبَّابته أمام وجهه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ الخوف هو أقوى سلاح عرفته البشرية يا دكتور (حجازى) ، ثم إن هذه ليست هى المرة الأولى التى يستخدم فيها كسلاح .. أليست الشائعات المغرضة ، ومحاولات تحطيم الجبهة الداخلية بالأخبار الكاذبة ، وسائل من تلك التى يستخدم فيها الخوف كسلاح ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. ولكننى أقصد أنها المرة الأولى

التى يستخدم فيها الخوف عن طريق سلاح مادّى .. تصوَّر أن احتمال الترَدُّدات الكهرومغناطيسية لم يخطر ببالى مطلقًا .

ثم هزَّ رأسه ، وعاد يقول :

ـ ولكنه يفسِّر ما أصاب الرجال ، عندما كانت خوذاتهم تتحطَّم .. لقد كان الثقب الصغير فى الرداء الواق غير كاف لمرور الترَدُّدات بالقدر المطلوب ، أمَّا حينما تتحطَّم الخوذة ، فإن المساحة المعرَّضة للموجات المسببة للخوف تزداد ، فتشمل الوجه بأكمله ، وجزءًا من العنق ، وهذا كاف لإصابة الإنسان بـ (الوباء الجهنمى) .

ابتسم (نور) ، وهو يكمل قائلاً :

ـ بعكس الفيروسات أو السموم ، التى يكفيها ثقب ولو فى حجم رأس الدبوس ، لمهاجمة الجسم والسيطرة عليه تمامًا ، وهذا ما لم يحدث مع (محمود) .

قالت (سلوى) ضاحكة :

— كفُّوا عن هذا الحديث .. إنكم تزعجون (نشوى) .

قفز (محمود) من مقعده ، وكشف وجه الصغيرة وهو يقول مداعبًا :

— ربَّاه !! إنها تحمل أنف (نور) ، وعينى (سلوى) وشفتيها .

هزَّت (سلوى) كتفيها قائلة :

— إننى أراها شبيهة بـ (نور) تمامًا .

ضحك الدكتور (حجازى) ، وقال :

— هل تعلمون ما هو أعظم نصر تحرزه (نشوى) ؟

نظر إليه الجميع بتساؤل واستعداد للدعابة ، فأردف قائلاً :

— أن تجمع بين عبقرية والدها وجمال أمها .. ستكون فى هذه الحالة قد جمعت المجد من طرفيه .

ثم أردف بحنان :

— ومن يدرى ؟.. قد يأتى يوم تفخر فيه المخابرات العلمية بها ، كما تفخر اليوم بوالديها .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع ٣٢١٥